الإسراء والمعراج

رزق هيبـــه

المركز العربي الحديث

١٢ شارع الامام محمد - ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة
تليفون ٢٦٠٦٤١١ - ٢٤٦٠٩٢٧ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ﴾

(صدق الله العظيم)

فى الآية الكريمة خبر صادق ، صادر من الملأ الأعلى الذى لا ينبغى لمؤمن أن يجادل فيه ، أو يشك فى صدقه ، بأن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده ونبيه المصطفى ﷺ ، من مكة أم القرى حيث المسجد الحرام ، إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، فى رحلة روحية ، وضيافة علوية ، تكريما لخاتم رسل الله أجمعين ، وتسرية عنه لما كان يلقاه من متاعب وآلام فى سبيل تبليغ الدعوة ، وإعلاء كلمة الله فى الأرض ، بين قوم طغت عليهم الماديات ، وألهاهم التكاثر فى الأموال والأولاد ، حتى أعماهم ظلمهم وبغيهم عن مصير محتوم ، سوف يلقاه كل إنسان ، يوم تبلى السرائر ، ولا يجد له من دون الله من قوة ولا ناصر .

ولقد صار حادث الإسراء والمعراج – حتى بعد مرور مايزيد على أربعمائة وألف عام – مجالا لأسئلة كثيرة عن سر هذا الإسراء .. متى كان ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ وما موقع هذا الحادث بين أحداث السيرة النبوية العاطرة ؟

ونجيب عن هذه الأسئلة إجمالا ، ثم نورد الروايات التى وردت عن الإسراء والمعراج فى سيرة ابن هشام ، فهو كتاب السيرة المعتمد الذى يرجع إليه كل من أراد أن يكتب فصلا أو فصولا من سيرة النبى العظيم ﷺ . ثم نورد ما رواه الشيخان البخارى ومسلم ، ونشير إلى تعليقات بعض العلماء والمفكرين المعاصرين على هذا الحادث ، تصحيحا لفكر أو تقويما لرأى ، أو تنبيها إلى

ما ينبغى أن يعتقده المسلم فى معنى هذا الحادث ، وهل كان هذا الحادث إعجازا على سبيل التحدى ؟

لقد كان الإسراء والمعراج رحلة روحانية أرادها الله سبحانه وتعالى تسلية لنبيه وتسرية عنه ، وتقوية لروحه ﷺ ، حتى يظل مستمسكا بالذى أوحى إليه ، موقنا أنه على الحق المبين ، واثقا بأن الله جل شأنه لن يتخلى عنه أبدا ..

إن الإسراء بالنبى الكريم لم يكن معجزة متحدية ، وإنما هو رحلة روحية ، واستضافة من الله الرحمن الرحيم للنبى فى رحاب ملكوته ، حيث يشهد من آيات ربه الكبرى ، ويتزود من ألطافه مالم يشهده بشر ، ومالم يتزود به إنسان .

ولقد كثر الجدال ، وأثير السؤال : هل كان الإسراء بالجسد والروح ؟ أم كان بالروح فقط ؟ والسؤال هنا يدل على نوع من السذاجة فى الفهم لا يجوز أن يتصف بها مفكر ، إذ لو كان الإسراء بالروح فقط ، لما كان هناك داع لكل الضجة التى أحدثها بين القوم يومذاك ، ولكان مجرد رؤيا يراها إنسان فى منامه ، فلا تزيد من مكانته شيئا ، ولا تحرك ساكنا ، كما تحرك الملأ من المشركين مكذبين وساخرين ومستهزئين .

لقد كان الإسراء بالرسول ﷺ بجسده ، ولم يكن بروحه الشريف فقط ، لذلك جاء التعبير القرآنى عنه بلفظ السرى الذى يدل على الستر والخفاء ، وجعل هذا الستر والخفاء فى مضمون سترٍ آخر هو الليل .

وكما أن لكل رحلة حدودا من البداية إلى النهاية كانت هناك حدود لرحلة الإسراء ، فهى تبدأ ، كما يذكر القرآن الكريم ، من مكة أم القرى ، ومن المسجد الحرام بالذات ، وتنتهى إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس .

أما زمانها فقد كان لحظة من لحظات ليلة مباركة لم يحددها القرآن الكريم ، وإنما قال عنها منزها نفسه جل شأنه ، وذاكرا قدرته على كل شىء ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾ .

فالآية صريحة في ذكرها للإسراء واضحة في أنه حدث فعلا للنبي الكريم ﷺ ، وأنه واقعة حقيقية وليس رؤيا منامية ، وإلا لما استحق أن يذكره القرآن الكريم بكل ما يحيطه من تنزيه وتسبيح لله العلي القدير ، وأيضا لما استحق هذا الحادث أن يختص بسورة من القرآن تسمى باسمه بين دفتي المصحف الشريف .

أما لماذا كانت هذه الرحلة ؟ فإننا نقرر أولا أنها رحلة من صنع الله ، وهو جل شأنه لا يسأل عما يفعل ، ولكننا إذ نساير عادتنا البشرية ، ونبحث لكل فعل عن سبب ، لن نجد إلا أن الإسراء ، والمعراج من بعده ؛ كان نوعا من التسرية عن النبي ﷺ ، وترويحا عن نفسه ، وشدا لأزره ، وشحنة روحية ، ودفعة جديدة للاستمرار في دعوته ، فهو على الحق المبين ، والله معه ، ومن ورائه ، مهما كان كيد الكائدين ، ومكر الماكرين .. ثم إن الآية القرآنية نفسها تقرر لنا سبب هذه الرحلة المباركة ، في قوله تعالى « لنريه من آياتنا » .

لقد كان ﷺ يواجه خصومة عنيفة ظالمة قوية من قومه ، يدعوهم إلى الرشاد والخير ، فيلقونه بالتكذيب والبهت ، ويرمونه بالسوء والأذى ، وليس هناك حال أدعى من هذه الحال للخروج من هذا الجو الخانق الثقيل ، إلى جو آخر ، فيه راحة للصدر ، واسترواح للنفس .

وهاهي ذي الأحداث تزداد شدة ، والشر يزداد اشتعالا ، فتأتمر قريش فيما بينها على أن تكون جبهة واحدة في وجه النبي ﷺ ، ومن يقف إلى جواره من قومه .

وهاهم أولاء بنو عبد المطلب ، وبنو هاشم وفيهم من لا يزال على شركه ، ولكن قد أبت عصبيتهم العربية – وهم رهط النبي ﷺ – أن يتخلوا عنه ، وأن يسلموه لقريش تنال منه وتستبد به .

وكان من هذا أن عمدت قريش إلى مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب ، وعقدت فيما بين بطونها وأفخاذها عهدًا ، على ألا يتعاملوا مع بني هاشم وبني عبد المطلب ، فلا يزوجوهم ، ولا

يتزوجوا منهم ، ولا يعطوهم ولا يأخذوا منهم ، بل هى القطيعة التامة فى كل ما يتواصل به الناس فى الحياة .

ولقد واجه بنو هاشم وبنو عبد المطلب هذه الحرب الاجتماعية والاقتصادية بشجاعة وصبر وإباء ، وأبوا أن يعطوا الدنيه فى هذا الامتحان الذى تعرف فيه معادن الرجال ، فجمع أبو طالب عميد بنى هاشم أهله من دورهم المتفرقة وانحاز بهم إلى الشعب المسمى باسمه - شعب أبى طالب ، واستمر هذا الحصار نحو ثلاث سنين ، بلغ بهم الجهد فيها غايته . حتى سمع الناس أصوات صبيانهم يتضاغون جوعا من وراء الشعب .

وكان النبى ﷺ - خلال هذه المحنة - يحمل فى نفسه كل ما لقى آل عبد المطلب وآل هاشم من جهد ومشقة ، فكل ما كان يقع من آلام فى محيط أفرادهم فردا فردا ، وفى جماعتهم أسرة أسرة كان يقع على مشاعر النبى ﷺ ، ويهيج خواطر الألم والإزعاج فى نفسه قبل أن يصل إليهم ، أضعاف ما كانوا يجدونه من ألم وإزعاج .

لقد كان ﷺ رحمة للعالمين ، وهو - كما يصفه ربه - بالمؤمنين رءوف رحيم .. يألم لآلام الناس جميعاً ، ويود لو حملها عنهم ، أو أخذها فرمى بها فى مكان سحيق لئلا تصيب إنسانا أى إنسان . فكيف بما يقع فى نفسه من هذا للآلام التى يراها تجتاح كل حين نفوس أهله وذوى قاربته القائمين على نصرته ؟

وهو - ﷺ - يرى أن ما نزل بأهله من آلام وشدائد خلال تلك المحنة ، إنما كان بسببه هو ، وأن ذلك الذى احتملوه من أجله لم يكن بسبب العقيدة والدين ، وإنما كان من أجل القرابة والدم ، ولو كان من أجل العقيدة والدين لهان الأمر ، ولكان على أصحاب العقيدة أن يؤدوا ضريبة الدفاع عن عقيدتهم ، لقاء الثواب العظيم الذى ينتظرهم من رب العالمين .

إن الآلام النفسية والروحية ، بل والجسدية التى احتملها النبى خلال تلك المحنة التى عاش فيها أهله ، كانت من أقسى ما لقيه

النبى فى طريق دعوته من آلام ، إنه حمل آلام أهله كلها ، وإن ذهب كل منهم بنصيبه من هذه الآلام ، فهم من أجل النبى ﷺ احتملوا هذه التجربة القاسية ، وفى سبيل حمايته والدفاع عنه واجهوا هذه القطيعة المرة ، واحتملوا عبء هذا الحصار المحكم الظالم ثلاث سنين .

ومما ضاعف من وقع هذه الآلام فى نفس الرسول ﷺ ، أن سقط فى ذلك العام الجناحان اللذان كانا يرفان عليه رحمة وحنانا ، ذلك أنه ما كادت تنتهى محنة الحصار ، ويفسد تدبير قريش ، وتنقض صحيفتها التى أبرم فيها هذا العقد الذى عقدته فيما بينها لمقاطعة بنى هاشم ، بعد أن سلط الله عليها الأرضة فأكلتها جميعا إلا ماورد فيها من ذكر اسم الله عز وجل.. ماكادت تنتهى تلك المحنة حتى مات عمه أبو طالب ، بعد خروجه بقومه من الشعب بستة أشهر ، ثم لحقت به الزوجة البرة الرحيمة ، السيدة خديجة ، أولى أمهات المؤمنين - رضى الله عنها ، إذ انتقلت إلى رحاب ربها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام .

لقد أبلى الرسول الكريم بلاءه فيالأرض ، واستنفد كل ما يعطى ويأخذ منها ومن أهلها ، فكان لابد من عالم آخر يتزود منه بزاد روحى ، يشيع فى كيانه قوى مجددة لا تنفد على كثرة ما ينفق منها فى هذا النضال المتصل بينه وبين قومه ، حتى يحكم الله بينه وبينهم بالحق ، وهو خير الحاكمين ... فكانت رحلة الإسراء والمعراج .

ولقد اخترت أن أنكر الروايات التى وردت فى سيرة ابن هشام عن الإسراء والمعراج ، لأنه - كما قلت آنفا - الكتاب المعتمد عند المفكرين وكاتبى السيرة النبوية العطرة ، ولأن ابن هشام الذى اشتهرت السيرة باسمه ، كما قيل عنه : قد اشتهر بحمل العلم ، وتقدم فى علم النسب ، وجمع سيرة الرسول ﷺ من المغازى والسير لابن إسحاق ، وهذبها ، وهى الموجودة بين الناس ، والمعروفة بسيرة ابن هشام ، وبها اشتهر .

أما ابن إسحاق الذى أخذ ابن هشام عنه ، فهو محمد بن إسحاق ، ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تجهل إمامته فى

المغازى والسير ، ذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق .

ثم نورد بعد ذلك رواية الإمام البخارى ، وهو من هو بين أئمة الحديث ، قالوا عنه أنه طلب العلم وله عشر سنين ، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة ، وقال هو : خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث ، وما وضعت فيه حديثا إلا وصليت ركعتين .

ثم نورد رواية الإمام مسلم أيضا ، الذى أخذ عنه الحديث خلق كثير ، وكان يقدم فى معرفة الصحيح على أهل عصره .

بعد ذلك نذكر مختصرا لما قاله الحافظ ابن كثير فى تفسيره ، ولا ننسى تعليقات بعض العلماء وآراءهم فى هذه الرحلة المباركة التى لايزال النقاش جاريا بين كثير من المفكرين بسببها ، بعد مئات السنين من وقوعها . ولايزال المسلمون يحتفون ويحتفلون بها فى كل عام تكريما لذكرى صاحبها ﷺ ، الذى كرمه ربه ، فاستضافه على مائدة الرحمة والرضوان ، ومد له بساط الأنس والمحبة والمودة ، ليعود مواصلا رسالته ، ناشرا نور السماء على الأرض ، إلى أن أتم الله نوره ونعمته ، وأكمل دينه ، وتكفل بحفظه إلى أن تقوم الساعة ، فجزى الله عنا محمدا ﷺ خير مايجزى نبى عن قومه ، فبه اهتدينا ، وبسنته اقتدينا ، وإنا على طريقه لسائرون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

رزق هيبة

هل الإسراء والمعراج معجزة ؟

للإجابة عن ذلك نحاول أولا معرفة حقيقة المعجزة .

يقول الأستاذ عبد الرحمن حنكة فى كتابه « العقيدة الإسلامية وأسسها » :

لقد علمنا من تاريخ الأمم أن كل أمة جاء فيها رسول يدعى النبوة كانت تطلب منه برهانا على صدقه ، ومن حقها أن تطلب هذا البرهان ، إن لم يحصل لها العلم بنبوته عن طريق آخر ، وذلك للتثبت من صحة نبوته ، ولكن دون تعنت أو شطط ، فيأتى البرهان على صورة معجزة ما ، سواء كان ذلك نفس ما يطلبونه ، أو شيئا غير الذى يطلبونه .

ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ : « **مامن نبى إلا أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحى إلىّ ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة** » .

فما هى المعجزة ؟

هى أمر ممكن عقلا ، خارق للعادة يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته .

وقد كان الله سبحانه وتعالى يستجيب لطلب المعجزات من الأمم ، أو يجرى بعض المعجزات على يد أنبيائه ورسله دون طلب صريح من أقوامهم ، لكن حالهم تستدعى إظهارها .

وإنما يجرى الله سبحانه وتعالى بحكمته العالية هذه المعجزات على أيدى رسله باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد المألوف فى قوانين الكون وأنظمته تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح الدال على صدق الرسول فى دعواه الرسالة .

ذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة لا يستطيعون الإتيان بمثلها منفردين أو مجتمعين ، فى حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم .

وإذا استجاب الله لطلب المعجزة ، أو أظهرها من غير طلب تم أمران :

الأمر الأول : أن يجرى الله على يد رسوله أمرا خارقا للعادة ، لا يتمكن هذا الرسول بصفته البشرية بالغا مابلغت به القوة الجسمية أو الروحانية من فعله أو القيام بمثله ، بحسب المعتاد المألوف فى قوانين الكون وأنظمته ، لولا أن الخالق العظيم أجراه على يديه ، تأييدا له فى أنه رسول صادق فيما ينقل عن ربه .

الأمر الثانى : أن يتحدى الرسول قومه بأن يأتوا بمثل ماجاء به إن كانوا فى شك من صدق هذه الشهادة الربانية له ، فإن ظهر لهم عجزهم عن المعارضة علموا بأن ذلك من فعل الله ليشهد بلسان حال المعجزة أن هذا الإنسان الذى ظهرت على يديه هذه المعجزة رسول الله حقا ، وهو صادق فيما يبلغ عن ربه .

والمعارضة لا تتم إلا بأن يأتى القوم بمثل المعجزة ، وعلى الصورة التى أجريت المعجزة بها . فإن عورضت بمثلها ولكن على صورة أخرى تدخل ضمن حدود القدرات البشرية والإنسانية ، فلا تكون معارضة صحيحة ، وذلك كمن يعارض معجزة سيدنا عيسى عليه السلام فى شفاء المرضى باللمس ، بأن يستعمل الوسائل الإنسانية الطبية فى شفاء مثل المرض الذى كان يشفى منه عيسى عن طريق اللمس بإذن الله .

ومما تقدم يتبين لنا أن المعجزة من الأمور الممكنة عقلا ، فلا تكون إذن من الأمور المستحيلة عقلا ، كما يتبين لنا مجمل الشروط التى يجب توافرها فى خوارق العادات حتى تكون من المعجزات وهى كما يلى :-

١ - أن يتحقق كونها من الأمور الخارقة للمعتاد المألوف فى قوانين الكون وأنظمته الدائمة .

٢ - أن يتحدى بها الرسول من تناولتهم دعوته وشملتهم رسالته ، فإن جرى خارق العادة على يد غير مدعى الرسالة المتحدى بالإتيان بمثلها فإنها لا تكون معجزة ، وقد تكون كرامة .

٣ - أن تعجز الأمة عن المعارضة بمثلها على الصورة الخارقة التى تم تحديهم بها .

ولقد كانت المعجزة المتحدية التى جاء بها النبى ﷺ هى القرآن الكريم ، إن القرآن قد تحدى الناس جميعا أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه ، فما استطاع واحد منهم أو جماعة منذ البعثة حتى عصرنا هذا أن يعارضه بكتاب مثله أو بسورة منه .

فهل يعتبر حادث الإسراء والمعراج معجزة للنبى ﷺ ؟

الحق أنه عليه الصلاة والسلام ، لم يتحد أحدا بهذه الرحلة ، ولم يطلب من المشركين أن يعارضوه ، فيأتوا بمثلها ، ولذلك إذا قلنا أنها معجزة فإننا نقول ذلك على سبيل المجاز ، فهى أمر ممكن عقلا خارق للعادة فعلا ، ولكنه لم يكن للتحدى ، ولم يره الناس بأعينهم حتى يؤمنوا به كإحدى معجزات النبوة ، وإنما كان — كما نوهنا — تسلية للنبى ، واختباراً للمسلمين المقبلين على مراحل أخرى من الجهاد يعلمها الله ، كالهجرة ومابعدها من بناء دولة الإسلام الثابت الدعائم ، القوى الأركان ...

ما قبل الإسـراء

الإسراء والمعراج يمثلان فصلا من السيرة النبوية العاطرة ، وقد سبقهما فصول مضيئة بنور الإيمان ، ومضاء العزيمة ، والإصرار على الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وعندما ضاقت مكة بالمسلمين بدءوا يتطلعون إلى أوطان أخرى يجدون فيها السكينة والأمن والسلام ، وأرض الله واسعة ، وفي الحبشة ملك لا يضام من نزل أرضه ، فاتجهوا إلى هناك مهاجرين بدينهم ، فارين بعقيدتهم ، إلى حيث يجدون الأمن والقرار .

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : « فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم » .

ولبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة المكرمة ، ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ .

واشتد البلاء على المؤمنين ، وعلى بني هاشم وبني عبد المطلب ، حتى كان الأطفال يتضاغون من شدة الجوع ، ولقد كانت المقاطعة -- كما روى ابن إسحاق كاملة ، تشمل كل العلاقات الاجتماعية ، ومايقوم عليها من أسس للمعيشة والحياة السوية .

وأظهر الله آياته ، فجاءت الأرضة ، وأكلت كل كلمة فيها اسم الله تعالى ، أو صفة من صفاته ، التى عاهدوا الله تعالى عليه أن تكون القطيعة دائمة ، وكأن الله تعالى ألهم الأرضة أن تعلمهم أن اسم الله تعالى لا يصح أن يكون فى وثيقة ظلم وفسق عن أمر ربهم ، وقد أطلع الله تعالى محمدا ﷺ على مافعلت الأرضة بإلهام من الله رب العالمين .

وفى الوقت نفسه تشققت الرحمة من قلوب بعض الرجال فى قريش ، فبعد أن مرت ثلاث سنين عاشها المسلمون فى تلك القطيعة الكاملة ، تلاوم رجال من بطون قريش ، رأوا أنهم قد قطعوا الرحم ، واستخفوا بالحق ، فاجتمع أمرهم على نقض الصحيفة والبراءة مما جاء فيها ، والعمل على إخراج هؤلاء المحاصرين فى الشعب إلى حياة الناس الكريمة ، بعد مالاقوا من الجهد والعنت والعناء .

قال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : ياعم إن ربى الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال أبو طالب : أربك أخبرك بهذا ؟ قال النبى ﷺ : نعم . قال أبو طالب : فوالله مايدخل عليك أحد ..

ثم خرج أبو طالب إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبا دفعت إليكم ابن أخى ، لتفعلوا به ما تشاءون .

واستمع القوم إلى مقالة أبى طالب وتأملوها ، ولم تصدق عقولهم القاصرة أن لهذا الدين ربا قادرا على حمايته ، فقالوا : رضينا بما تقول ياأبا طالب ، فتعاقدوا على ذلك ، فلئن كان محمد صادقا فيما يقول فى أمر الأرضة ، فسيخرج هو والمؤمنون معه من ضيق الشعب إلى سعة الحياة وبراحها ، وإن كان غير ذلك فلقد رضى أبو طالب بأن يدفع إليهم ابن أخيه يفعلون به ما يشاءون .

وذهبوا إلى جوف الكعبة يبحثون عن صحيفتهم التى كتبوها ، وتعاقدوا عليها ، وكانت المفاجأة الحقيقية لهم أن يجدوا الأمر كما قال رسول الله ﷺ ، فقد أكلت الأرضة الصحيفة ، ولم تترك منها إلا اسم الله تعالى الذى كتبوه فيها « باسمك اللهم » وبدلا من الوفاء بما تعاهدوا عليه مع أبى طالب زادوا شرا ، وانقلبوا ناكثين للعهود ناقضين للعقود ، وهنا ظهرت رحمة الله فى صورة هؤلاء الرهط من قريش الذين تلاوموا فى أمر الصحيفة ورأوا أنهم بذلك قد قطعوا أرحامهم ، وتعاهدوا هم من جهة أخرى على نقض هذه الصحيفة الظالمة الجائرة ، ونقضت الصحيفة وخرج المسلمون من الشعب بعد أن فكت قريش حصارها ، وأذعنت لرأى الحكماء فيها .

وكما قال العرب قديما : رب ضارة نافعة ، فلقد كانت هذه المقاطعة سببا فى أن تسامع الناس بالإسلام ودعوته ، وانتشر بين العرب خبر ذلك النبى الذى أتى بدين جديد غير ما يعهدونه فى جزيرتهم ، ووصلت الدعوة المحمدية إلى القبائل فى كل أماكنهم القاصية والدانية ، فاهتدى منهم من اهتدى ، ودعا غيره إلى الهداية ، ومن لم يؤمن تحدث مع غيره مظهرا كفره بهذا الدين الذى ظهر ، وفى كلتا الحالتين علم بالدعوة من ارتضاها ومن لم يرتض بها ، وحملها الجميع ونشروها بينهم سواء كانوا من الراضين عنها المتبعين لها ، أم من المعرضين الشانئين المحاربين لله ورسوله .. فلقد كانوا كلهم ألسنة تتحدث بهذا النبأ الذى جعل الآلهة إلها واحدا ، ماله من شريك ولا ند ولا نظير ، ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير .

لقد انتهت السنون العجاف ، وذهبت أيام القطيعة ، ولكنها تركت أثرها فيما جاء بعدها من أيام ، إذ تلاها عام الحزن ، ويا له من عام ، وتسميته بعام الحزن لم تكن إشفاقا من أحد ، ولكنها تسمية النبى ﷺ للعام الذى توفى فيه شيخ البطحاء أبو طالب بن عبد المطلب ، وأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وقد كانت أبر زوج لأكرم زوج ، لذلك سمى النبى ﷺ ذلك العام عام الحزن لأنه فقد فيه حبيبين ، ولم ير بعدهما من يعوضه عنهما من ذوى صهره وقرابته .

يقول ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب

هلكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ما يلاقيه ، فتخفف عنه من آلامه وتواسيه فى أحزانه .. وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه ، وذلك قبل أن يهاجر إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا ، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يابنية فإن الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

وأمام هذا العنت والأذى كان لابد أن يتحرك الرسول بنفسه خارجا عن حدود مكة ، لعله يجد من قبائل العرب من يمد له يد النصرة والمساعدة ، فكانت رحلته إلى الطائف التى يحدثنا عنها ابن هشام فيقول : قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة لهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاء له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .. فقال له أحدهم : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟ وقال آخر : والله لا أكلمك أبدا .. لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف . وقد قال لهم : إذ فعلتم مافعلتم فاكتموا عنى .. ولكنهم لم يفعلوا ، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع إليه الناس والجأوه إلى حائط – بستان – لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة . وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة – شجرة عنب – فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف .

يقول ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال – فيما ذكر لى– اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة إلا بك ..

ثم قدم رسول الله ﷺ إلى مكة ، وقومه أشد ماكانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ، ويمنعوه حتى يبين لهم مابعثه الله به .

ونعود إلى موقفه ﷺ وهو عائد من الطائف ، وليس له من حمى إلا حمى الله عز وجل ، وقد فاضت نفسه بذلك الدعاء الضارع ، فى صدق ويقين بأنه « **إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** » .

كان الدعاء حارا عميقا ، منبعثا من نفس مكلومة جريحة ، ولكنها راضية ، وكيف لا ترضى وهى نفس سيد الخلق وخاتم الرسل الذى أوحى إليه ربه فيما أوحى ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ . إنه دعاء نفس تقوم بأعظم دعوة فى الوجود ، فيهون فى سبيلها كل أمر مهما كان عنيفا ، وكل شدة مهما تكن بالغة ، فهو ﷺ ، يقبل ماقدره الله تعالى وما يرضاه ، ولا يهمه شىء فى الوجود ، إلا أن يغضب عليه رب هذا الوجود ، ومادون ذلك يهون .. و« **إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى** » .

وكانت جائزة هذه النفس الراضية أن يستجيب الله دعاءها ، ويبين لنبيه أنه معه ، وفى أشد الأوقات ظلاما يضىء ذلك القلب النقى بالرضا ، ويأتيه العون من رب الكون ، كما ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، إذ قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟

قال – ﷺ – : مالقيت من قومك .. إذ عرضت نفسى على ابن عبد

ياليل ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فنادانى فقال : « إن الله قد سمع قول قومك لك ، ومارددوا به عليك ، وقد بعثت لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم » . ثم نادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يامحمد ، قد بعثنى الله إليك ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، قد بعثنى إليك ربك لتأمرنى ماشئت ، إن شئت فأطبق عليهم الأخشبين - جبلين بمكة المكرمة - فقال رسول الله ﷺ : « **إنى لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً** » .

لقد استجاب الله تعالى لدعاء نبيه ، وقد ذكر فى دعائه ضعف قوته ، وقلة حيلته ، وهوأنه على الناس ، فبين الله تعالى له أنه يضع فى يده كل القوى ، وأنه لا يمكن أن يهون والله تعالى معه ، وأنه لم يتركه لعدو ولا لولى ، بل إن أمره عليه الصلاة والسلام إلى الله سبحانه ، وهو القاهر فوق عباده ، ومن كان معه القاهر فوق عباده فإنه لا يهون أبدا ، مهما خاض من غمرات ، أو لاقى من صعوبات ، ولقد كان الله مع نبيه دائما ، ولئن ضاقت به الأرض فى بعض الأوقات فلتتسع له رحاب السموات ، فى ضيافة لم ينلها من قبله إنس ولا جان ، إلى هناك حيث سدرة المنتهى ولا منتهى ، ولنترك ابن هشام يذكر لنا ماورد فى هذه الرحلة من روايات .

وقبل أن يحملنا ابن هشام معه إلى هذه الرحلة العلوية ينبغى أن نجيب على سؤال مهم فى هذا البحث .. يقول : ماهو الإسراء ؟ وماهو المعراج ؟ فنقول :

• الإسراء : هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس ، فى جزء من الليل ، ثم رجوعه إلى المسجد الحرام فى الليلة نفسها .

• والمعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس ، إلى السموات السبع ، ومافوقهن ، ثم رجوعه إلى بيت المقدس فى جزء من الليل .

- ثم نطرح سؤالاً آخر يقول : كيف ثبت الإسراء والمعراج ؟ .

ونجيب عن هذا السؤال قائلين :

– لقد ثبت الإسراء بالنص القرآنى الشريف ، وبالأحاديث النبوية الصحيحة التى سترد رواياتها فيما يلى من فصول هذا الكتاب .

أما القرآن ففى قوله تعالى ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ .

وأما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات العدول ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ولو لم يكن إلا اتفاق صاحبى الصحيحين : البخارى ومسلم على تخريجها فى صحيحيهما لكفى ، فكيف وقد خرجها غيرهما من أصحاب الكتب الحديثية المعتمدة ، وكتب السير المشهورة ..

ويرى بعض العلماء أن المعراج ، وإن لم يثبت بالقرآن صراحة ولكنه أشير إليه فى سورة النجم فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة مايغشى ، مازاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ .

فقد روى عن ابن مسعود ، وأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنهما – أن المرئى هو جبريل عليه السلام ، رآه رسول الله ﷺ على هيئته التى خلق عليها ، ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج ، قال العلامة ابن كثير فى تفسيره ما ملخصه : وقد رأى النبى ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التى خلقه الله عليها مرتين : الأولى عقب فترة الوحى ، والنبى نازل من غار حراء ، فرآه على صورته ، له ستمائة جناح ، قد سد عظم خلقه الأفق ، فاقترب منه ، وأوحى إليه عن الله عز وجل ماأوحى ، وإليه أشار الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ .

، ولنلاحظ هنا كما قال الشيخ محمد أبو شهبة : أن الضمير فى قوله « فأوحى » عائد على جبريل وهو الظاهر المقبول لأنه المتحدث عنه ، وقيل عائد على الحق تبارك وتعالى ، وهو بعيد مردود ، لما فيه من تفكيك النظم

الكريم ، وأما الضمير فى « عبده » فهو راجع إلى الله سبحانه وتعالى فحسب ، أى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ماأوحى ، أو ، فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بوساطة جبريل عليه السلام .

« أما المرة الثانية التى رأى فيها النبى عليه الصلاة والسلام جبريل على هيئته التى خلقه الله بها ، فكانت ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى ، وهى المشار إليها فى سورة النجم ، بقوله تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾ .

ذكر الإسـراء
كما ورد فى سيرة ابن هشام

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش ، وفى القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه ﷺ ، عن عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة زوج النبى ﷺ ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وابن شهاب الزهرى ، وقتادة ، وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانىء بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كما يحدث عنه بعض ماذكر من أمره حين أسرى به ﷺ ، وما كان فى مسراه ، وماذكر عنه من بلاء وتمحيص ، وأمر من الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ماعاين ، من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها مايريد .

ويبدأ ابن هشام فى تفصيل هذه الروايات ، فيذكر لنا كل رواية على حدة ، كما يرويها صاحبها عما عرفه من ذكر الإسراء والمعراج .

١ – رواية عبد الله بن مسعود : قال :

كان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى عنه يقول : أُتِىَ رسول الله ﷺ بالبراق – وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الأنبياء قبله – تضع حافرها فى منتهى طرفها ، فحمل عليها ، ثم خرج به صاحبه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل

وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء قد جمعوا له ، فصلى بهم ، ثم أُتِىَ بثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . قال : فقال رسول الله ﷺ : فسمعت قائلا يقول حين عرضت علىَّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوىَ وغوت أمته وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هديت ، وهديت أمتك يا محمد .

٢ – رواية الحسن :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم فى الحجر ، إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه ، فجلست فلم أر شيئا ، فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى فقمت معه ، فخرج بى إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار ، فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع يده فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى ، لا يفوتنى ولا أفوته .

٣ – رواية قتادة :

يقطع ابن إسحاق رواية الحسن ليحدثنا عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله ﷺ ، قال : لما دنوت منه لأركبه شمس – أى حرن – فوضع جبريل يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحى يابراق مما تصنع ، فوالله ماركبك عبد لله قبل محمد ، أكرم عليه منه ، قال : فاستحيا حتى ارفض عرقا .. ثم قر حتى ركبه .

٤ – ويعود ابن إسحاق إلى رواية الحسن يقول :

قال الحسن فى حديثه : فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ، فأمهم رسول الله ﷺ ، فصلى بهم ، ثم أتى بإناءين ، فى أحدهما خمر ، وفى الآخر لبن ، قال : فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه ، وترك إناء الخمر ، قال : فقال له جبريل : هديت

للفطرة . وهديت أمتك يامحمد ، وحرمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الإمر – أى الشيء العجيب – البين . والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له : هل لك ياأبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ورجع إلى مكة .

فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق .. فما يعجبكم فى ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه . ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم ، أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .. قال : يانبى الله فصفه لى .. فإننى قد جئته ، قال الحسن : فقال رسول الله ﷺ : فرفع لى حتى نظرت إليه – فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئا قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق .. فيومئذ سماه الصديق ..

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا** ﴾ .

فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله ﷺ ، وما دخل فيه من حديث قتادة ، وتبقى أحاديث أخرى بعضها ينفى إسراء النبى ﷺ بجسده ، كما ورد فى حديث عائشة ومعاوية رضى الله عنهما ..

٥ – رواية عائشة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى آل أبى بكر ، أن عائشة زوج النبى ﷺ كانت تقول : مافقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن الله أسرى بروحه .

٦ – رواية معاوية :

، قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية ابن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

٧ – هل كان الإسراء رؤيا ؟

لم ينكر ابن إسحاق قول عائشة ولا قول معاوية رضى الله عنهما ، لقول الحسن . إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ ولقوله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : ﴿ **يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ . ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ – فيما بلغنى – يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان ، والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ماعاين ، من أمر الله ، على أى حاليه كان نائما أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

٨ – رواية أم هانىء :

قال محمد بن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها ، واسمها هند ، فى مسرى رسول الله ﷺ ، أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : ياأم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس ، فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين . ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية ، فقلت له : يانبى الله ، لاتحدث الناس بهذا فيكذبوك ، ويؤذوك . قال : والله لأحدثنهموه ، قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك ، اتبعى رسول الله ﷺ حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ماآية ذلك ياحمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط !! قال : آية ذلك أنى مررت بعير

بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فند لهم بعير فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام . ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان ، فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه ، وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن يصوب من البيضاء ، ثنية التنعيم ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان ، إحداهما سوداء والأخرى برقاء .

قالت : فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ، ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما كان ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وند لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

ذكـر المعـراج

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه ، وهو الذى يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر ، فأصعدنى صاحبى فيه ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك . قال : يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث : ومايعلم جنود ربك إلا هو ، فلما دخل بى قال : من هذا ياجبريل ؟ قال : محمد .. قال : أو قد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لى بخير .. وقاله .

* قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : تلقتنى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقنى ملك إلا ضاحكاً مستبْشرًا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقينى ملك من الملائكة ، فقال مثل ماقالوا ، ودعا بمثل مادعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل مارأيت من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريل من هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل الذى رأيت من غيره ؟ قال : فقال لى جبريل : أما إنه لو ضحك لأحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا لأحد بعدك ، لضحك إليك .. ولكنه لا يضحك ، هذا مالك صاحب النار ، فقال رسول الله ﷺ ، فقلت لجبريل : وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم ، ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ : ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى ، يامالك ، أر محمدا النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى ، قال : فأمره ، فقال لها : اخبى ، فرجعت إلى مكانها الذى خرجت منه ، فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل ، حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه : إن رسول الله ﷺ قال : لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا ، ويسر به ، ويقول : روح طيبة ، خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ، ويقول : روح خبيثة ، خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها ، وقال : روح طيبة ، خرجت من جسد طيب ، وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، فى يديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما .

قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، حين يعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ماحرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله ﷺ قال : اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، وطلع على عوراتهم .

ثم رجع إلى حديث أبى سعيد الخدرى ، قال : ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم

أصعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصعدنى إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو ؟ قال : هذا إدريس – قال : يقول رسول الله ﷺ – ورفعناه مكانا علياً – قال : ثم أصعدنى إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثنون ، لم أر كهلا أجمل منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا المحبب فى قومه ، هارون بن عمران .. قال : ثم أصعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل ، أقنى . كأنه من رجال شنوءة . فقلت له : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران ، ثم أصعدنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسى إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة ، لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .. قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ ، فيما بلغنى أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد . فيقولون : أو قد بعث إليه ؟ فيقول : نعم .. فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم .

قال رسول الله ﷺ : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألنى : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك .. فرجعت ، فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عنى عشراً ، ثم انصرفت ، فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربى فوضع عنى عشرا ، ثم لم يزل يقول

لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال : فارجع فاسأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربى ، وسألته حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أداهن منكم إيمانا واحتسابا لهن ، كان له أجر خمسين صلاة .

حديث الإسراء والمعراج

كما ورد فى صحيح البخارى

عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما ، أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال: بينما أنا فى الحطيم- وربما قال فى الحجر- مضطجعاً- وفى بعض الروايات « بين النائم واليقظان - إذ أتانى آت فقدَّ - قال : وسمعته يقول ، فشق مابين هذه إلى هذه ، قال الراوى ، من ثغرة نحره إلى شعرته - فاستخرج قلبى ، ثم أُتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حشى ، ثم أعيد ، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض . قال الراوى - وهو البراق - يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل ، حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ؟ قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبى الصالح .

« ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح . فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجىء جاء . ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى السماء الرابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت إذا إدريس قال : هذا إدريس ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .. قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا موسى . قال : هذا موسى ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : مايبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم ، فسلم عليه .. فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

قال النبى ﷺ : ثم رفعت لى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قِلال هَجَر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور ، فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك .

ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك .

ثم فرضت على الصلوات ، خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم . وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم . فرجعت إلى موسى فقال : بم مرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم .. قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قلت : سألت ربى حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم .. قال : فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال : هى رؤيا عين ، أُرِيَها النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال ﴿ **والشجرة الملعونة فى القرآن** ﴾ هى شجرة الزقوم .

● عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أبو ذر رضى الله عنه يحدث أن النبى ﷺ قال : فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ، ففرج صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه . ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معى محمد ﷺ ، فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم ..

يقول النبى ﷺ : فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة ، وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح .. قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله ، نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار . فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى .

حتى عرج بى إلى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ماقال الأول ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، صلوات الله عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة ، قال أنس : فلما مر جبريل عليه السلام بالنبى ﷺ بإدريس ، قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس .. ثم مررت بموسى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح .. قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قلت : من ؟ قال : هذا إبراهيم ﷺ .

وكان ابن عباس ، وأبو حبة الأنصارى يقولان : قال النبى ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام .

قال أنس بن مالك ، قال النبى ﷺ : ففرض الله عز وجل على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ﷺ ، فقال : مافرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك .. فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى ، قلت : وضع شطرها .. فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته فقال : هى خمس وهى خمسون لا يُبدَّلُ القولُ لدىَّ ، فرجعت إلى موسى ، فقال : ارجع إلى ربك . قلت : استحييت من ربى .

ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان ما أدرى ماهى ؟ ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

حديث الإسراء والمعراج
كما ورد فى صحيح مسلم

عن الإسراء برسول الله ﷺ والعروج به إلى السموات العلى أورد الإمام مسلم عشرين رواية نثبتها هنا نقلا عن كتاب « فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم » للدكتور موسى شاهين لاشين ، ونتبعها بشروح مقتبسة من الكتاب نفسه فى فقه الحديث .

١ – عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل – ﷺ – اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ؟ ففتح لنا . فإذا أنا بآدم ، فرحب بى ، ودعالى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة – عيسى ابن مريم ، ويحيى ابن زكرياء ، صلوات الله عليهما ، فرحبا ودعوا لى بخير ، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه .. ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ .. إذا هو قد أعطى شطرى الحسن ، فرحب بى ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا .. فإذا أنا بإدريس ، فرحب ، ودعا لى بخير ، قال الله عز وجل : ﴿ ورفعناه مكانًا عليًّا ﴾ .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون - ﷺ - فرحب بى ، ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى ﷺ ، فرحب ودعالى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بإبراهيم - ﷺ - مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال . قال : فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله إلى ماأوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ﷺ . فقال : مافرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا يطيقون ذلك . فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب ، خفف على أمتى ، فحط عنى خمسا .. فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا .. قال : إن أمتك لايطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى - تبارك وتعالى - وبين موسى عليه السلام ، حتى قال : ياحمد ، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة ، عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة

فلم يعملها لم تكتب شيئا ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ ، فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله ﷺ ، فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

٢ – وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : أُتيت ، فانطلقوا بى إلى زمزم . فشرح عن صدرى ، ثم غسل بماء زمزم ، ثم أنزلت .

٣ – وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه ، فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعنى ظئره – فقالوا : إن محمدا قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره .

٤ – عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر ، قبل أن يوحى إليه ، وهو قائم فى المسجد الحرام ، وساق الحديث السابق بقصته ، وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص .

٥ – وعن أنس بن مالك ، قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ﷺ ، ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء ، فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا : افتح .. قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم .. معى محمد ﷺ . قال : فأرسل إليه ؟ قال : نعم .. ففتح ، قال : فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، قال : فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قال : قلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا آدم ﷺ ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين أهل الجنة ، والأسودة

التى عن شماله أهل النار . فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى .

قال : ثم عرج بى جبريل ، حتى أتى السماء الثانية ، فقال لخازنها : افتح . قال : فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا . ففتح . فقال أنس ابن مالك : فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس ، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين . ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة ، قال : فلما مر جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس صلوات الله عليه وسلامه قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قال : ثم مر ، فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا إدريس . قال : ثم مررت بموسى عليه السلام فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قال : قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم . قال : ثم مررت بإبراهيم عليه السلام ، فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح ، قال : قلت : من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم .

٦ – قال ابن شهاب : وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس ، وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ : ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة . قال : فرجعت بذلك حتى أمر بموسى ، فقال موسى عليه السلام : ماذا فرض ربك على أمتك ؟ قلت : فرض عليهم خمسين صلاة . قال لى موسى عليه السلام ، فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، قال : فراجعت ربى فوضع شطرها ، قال : فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته ، قال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . قال : فراجعت ربى ، فقال : هى خمس ، وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى . قال : فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك ، فقلت : قد استحييت من ربى .

قال : ثم انطلق بى جبريل حتى نأتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان ، لا أدرى ماهى ؟ قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

٧ - عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة قال : قال لى نبى الله ﷺ : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين ، فأتيت ، فانطلق بى ، فأتيت بطست من ذهب ، فيها من ماء زمزم ، فشرح صدرى إلى كذا وكذا فاستخرج قلبى ، فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ، ثم حشى إيمانا وحكمة ، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له : البراق . فوق الحمار ودون البغل ، يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل ﷺ ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قال : ففتح لنا ، وقال : مرحبا به ولنعم المجيء جاء . قال : فأتينا على آدم ﷺ . وساق الحديث بقصته . وذكر أنه لقى فى السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام ، وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة هارون ﷺ . قال : ثم انطلقنا ، حتى انتهينا إلى السماء السادسة ، فأتيت على موسى ، فسلمت عليه ، فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح . فلما جاوزته بكى . فنودى : مايبكيك ؟ قال : رب ، هذا غلام بعثته بعدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى ، قال : ثم انطلقنا ، حتى انتهينا إلى السماء السابعة ، فأتيت إبراهيم .

وقال فى الحديث : وحدث نبى الله ﷺ ، أنه رأى أربعة أنهار ، يخرج من أصلها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : ياجبريل ، ماهذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لى البيت المعمور ، فقلت : ياجبريل ، ماهذا ؟ قال : هذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه ، آخر ماعليهم .. ثم أتيت بإناءين ، أحدهما خمر والآخر لبن ، فعرضا علىَّ فاخترت اللبن ، فقيل : أصبت ، أصاب الله بك ، أمتك على الفطرة ، ثم فرضت علىَّ كل يوم خمسون صلاة . ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث .

وزادت فى رواية « فأتيت بطست من ذهب ، ممتلىء حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن ، فغسل بماء زمزم ، ثم ملىء حكمة وإيماناً » .

٨ - عن أبى العالية قال : حدثنى ابن عم نبيكم ﷺ - يعنى ابن عباس -

قال : ذكر رسول الله ﷺ حين أسرى به ، فقال : موسى آدم طوال ، كأنه من رجال شنوءة ، وقال : عيسى جعد مربوع ، وذكر مالكا خازن جهنم ، وذكر الدجال .

٩ – وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طوال جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، وأرى مالكا ، خازن النار ، والدجال فى آيات أراهن الله إياه ، فلا تكن فى مرية من لقائه . فسّرها الراوى أن النبى ﷺ قد لقى موسى عليه السلام .

١٠ – وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادى الأزرق ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق . قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية .

ثم أتى على ثنية هرشى ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى . قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة ، وهو يلبى .

١١ – وعن ابن عباس قال : سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، فمررنا بواد ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق . فقال : كأنى أنظر إلى موسى ﷺ ، فذكر من لونه وشعره شيئا لم يحفظه داود – الراوى عن أبى العالية الراوى عن ابن عباس – واضعا أصبعيه فى أذنيه ، له جؤار إلى الله بالتلبية ، مارا بهذا الوادى . قال : ثم سرنا ، حتى أتينا على ثنية ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : هرشى ، أو لفت ، فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء ، عليه جبة صوف ، خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبيا .

١٢ – عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال : إنه مكتوب بين عينيه « كافر » ، قال : فقال ابن عباس : لم أسمعه قال ذاك ؛ ولكنه قال : أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فرجل آدم جعد ، على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يلبى .

١٣ – وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : عُرض علىَّ الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم – يعنى نفسه – ورأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية ، – وفى رواية « دحية بن خليفة » – .

١٤ – وعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام ، فنعته النبى ﷺ ، فإذا رجل – حسبته قال – مضطرب ، رجل الرأس ، كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى ، فنعته النبى ﷺ ، فإذا ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس – يعنى حماما – قال : ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، وأنا أشبه ولده به ، قال : فأُتِيتُ بإناءين ، فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر ، فقيل لى : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن ، فشربته ، فقال : هديت الفطرة – أو أصبت الفطرة – أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

١٥ – عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : أرانى ليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلا آدم ، كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ، له لمة ، كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجّلها ، فهى تقطر ماء ، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين ، يطوف بالبيت ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم ، ثم إذا أنا برجل جعد ، قطط أعور العين اليمنى ، كأنها عنبة طافية ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الدجال .

١٦ – وعن عبد الله بن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال ؛ فقال : إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية .

قال : وقال رسول الله ﷺ : أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ماترى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماء ، واضعا يديه على منكبى رجلين ، وهو بينهما يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح بن مريم ؛ ورأيت وراءه رجلا

جعدا قططا أعور عين اليمنى ، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن ، واضعا يديه على منكبى رجلين ، يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : هذا المسيح الدجال .

١٧ – عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : لما كذبتنى قريش ؛ قمت فى الحجر ، فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

١٨ – عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا نائم رأيتنى أطوف بالكعبة ، فإذا رجل آدم ، سبط الشعر ، بين رجلين ، ينطف رأسه ماء ، أو يهراق رأسه ماء – قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس ؛ أعور العين ، كأن عينه عنبة طافية ، قلت : من هذا ؟ قالوا : الدجال ، أقرب الناس به شبها ابن قطن .

١٩ – عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد رأيتنى فى الحجر ، وقريش تسألنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ماكربت مثله قط . قال : فرفعه الله لى . أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم – يعنى نفسه – فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يامحمد هذا مالك ، صاحب النار ، فسلم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأنى بالسلام .

٢٠ – عن عبد الله قال : لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ، إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها ، فيقبض منها ، قال : إذ يغشى السدرة مايغشى ، قال : فراش من ذهب ، قال : فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات .

تلكم هى الروايات العشرون كما وردت فى صحيح مسلم ، يحدثنا الدكتور موسى شاهين لاشين عن فقهها ، فيقول :

بعد قراءة روايات هذا الحديث يجد القارىء نفسه أمام تساؤلات كثيرة : هل كان الإسراء والمعراج يقظة أو مناماً ؟ ومن أين بدأ ؟ وماسر اختيار بيت المقدس نهاية له ؟ وبداية للمعراج ؟ وما الحكمة فى كون وسيلته ركوب البراق ؟ وماحقيقة شق الصدر ؟ ومتى كان ؟ وماذا رأى من آيات ربه الكبرى فى إسرائه وفى معراجه ؟ وماحقيقة مارأى ؟ وماوجه اختصاص من ذكر من الأنبياء ؟ ولم كانت مراكزهم فى السموات كذلك ؟ وماذا نأخذ من الحديث من الأحكام والعبر ؟

أورد فضيلة الدكتور موسى لاشين هذه التساؤلات ، وهى تساؤلات لا يخلو ذهن مسلم من بعضها ، وجاءت إجابة الشيخ موضحة لها وزائدة عليها بحسب ما يقتضيه المقام فى شرح الحديث .. فقال – أطال الله عمره – .

• ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة ، فى اليقظة ، بجسد النبى ﷺ وروحه ، بعد المبعث .

قال الحافظ ابن حجر : وتواردت على ذلك ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل . ا هـ .

وذهب قليل من العلماء إلى أن الإسراء والمعراج كانا مناما ، تشبثا بقوله تعالى ﴿ **وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ على أن المراد بها مارأى ليلة الإسراء ، والرؤيا بالقصر مايرى فى المنام ، وتشبثا ببعض الروايات التى يدل ظاهرها على أنه كان فى المنام . وهذا القول مردود من وجوه .

الأول : أنه ثبت أن قريشا كذبوه فى الإسراء ، واستبعدوا وقوعه ، ولو كان مناما لما كذبوه ، ولا استنكروه ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء بصيغة التنزيه له والتعجيب للحادث ،

والتشريف لنبيه ، فقال : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾ ولو كان مناما لم يستحق ذلك .

الثالث : أن الله تعالى أثبت رؤيا القلب بقوله ﴿ **ماكذب الفؤاد مارأى** ﴾ ورؤيا العين بقوله ﴿ **مازاغ البصر وماطغى** ، **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ ، وأما قولهم أن الرؤيا بالقصر مختص برؤيا المنام ، فيمكن رد هذا الاستدلال عليهم بأن هذا الاستعمال هنا فى رؤيا العين دليل على أن هذا اللفظ ليس خاصا بالمنام .

ويقول الدكتور لاشين : إنهم قد استندوا إلى ظاهر بعض الروايات ، كرواية البخارى : « **بينا أنا عند البيت مضطجعا بين النائم واليقظان .. إذ أتانى ...** » إلخ .. أو رواية : « بينا أنا نائم » .. ويقرر فضيلته أن هذه الروايات محمولة على ابتداء الحال ، ثم صار إلى اليقظة الكاملة ﷺ .

* وذهب بعضهم إلى أن الإسراء والمعراج كانا بالروح لا بالجسد . وقالوا : ينبغى أن يعلم الفرق بين قولهم : كان الإسراء مناما . وقولهم : كان الإسراء بروحه دون جسده . فإن بينهما فرقا ، فإن الذى يراه النائم قد يكون حقيقة ، بأن تصعد الروح مثلا إلى السماء ، وقد يكون من ضرب المثل بأن يرى النائم ذلك ، وروحه لم تصعد أصلا ، فمعنى أسرى بروحه ولم يصعد بجسده ، أن روحه عرج بها حقيقة ، فصعدت ثم رجعت ، وجسده باق فى مكانه خرقا للعادة . اهـ .

قال الحافظ ابن حجر : وظاهر الأخبار الواردة فى الإسراء تأبى الحمل على ذلك ..

* وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن ذلك كله وقع مرتين : مرة فى المنام توطئة وتمهيدا ، ومرة ثانية فى اليقظة ، جمعا بين ظواهر ماورد ، وجوز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث ، لما جاء فى بعض الروايات من قول الراوى « وذلك قبل أن يوحى إليه » .

وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام ،

أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو مناما خاص بالمعراج ، لا بالإسراء ، واستدلوا على ذلك بدليلين :

الأول : أن قريشا كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه ، ولم يتعرضوا للمعراج ، ولو أنه أخبرهم بالمعراج يقظة لكان أولى بالتكذيب .

الثانى : أن الله تعالى ذكر الإسراء على وجه التنزيه والتعجيب والتشريف ، ولو أن المعراج وقع فى اليقظة لكان أبلغ فى الذكر ، فلما لم يقع ذكره فى هذا الموضع ، مع كون شأنه أعجب ، وأمره أغرب من الإسراء بكثير دل على أنه كان مناما .

وأجيب عن الأول باحتمال أنه ﷺ لما بادءوه بالتكذيب فى الإسراء لم يسترسل معهم بذكر المعراج ، أو أنه ذكره لهم ، لكن لم يقع منهم فى شأنه اعتراض ، لأن ذلك عندهم من جنس قوله : إن الملك يأتيه من السماء فى أسرع من طرفة عين . وكانوا يعتقدون استحالة ذلك ، لكنهم لا يجدون طريقا واضحا لتكذيبه ، بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة ، ورجع ، فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه ، وطلبوا منه نعت بيت المقدس ، لمعرفتهم به ، وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك ، فأمكنهم استعلام صدقه فى ذلك ، بخلاف المعراج .

وعن الثانى بأنه لما كان الإسراء هو مناط التكذيب كان الجدير بالذكر للرد عليهم ، وإن كان المعراج أعجب .. والله أعلم .

• ولكن ماسر اختيار بيت المقدس غاية للإسراء ، وبداية للمعراج ؟ يقول فضيلة الدكتور الشيخ موسى شاهين لاشين : إن علم ذلك عند الله تعالى ، وما ذكره العلماء فى ذلك لا يمثل سرا أو حكمة ، لكنه تلمس واجتهاد لا بأس به ، نذكر منه ماقيل من أن باب السماء الذى يقال له : مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ، فحصل الإسراء إليه قبل العروج ليحصل العروج مستويا من غير تعويج .

ولكن الحافظ ابن حجر يقول : بل كان المناسب أن يصعد من مكة ليصل إلى البيت المعمور ، والبيت المعمور حيال الكعبة ، فلا يصح أن يكون السر

عدم التعويج .

وقيل : الحكمة فى ذلك أن يجمع ﷺ فى تلك الليلة بين رؤية القبلتين ، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله ، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ، ليجمع بين أشتات الفضائل ، وقيل : لأنه محل الحشر ، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية ، فكان المعراج منه أليق بذلك .

وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى .

وقيل : ليجتمع بالأنبياء جملة .

وقيل : إرادة إظهار الله معاندة من يعارض ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا قد رأوها ، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكره ، فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد .

يقول الدكتور موسى : كل هذا يمكن أن يكون بعض الحكمة ، وكلها تلمس كالورد يشم ولا يدعك .. والله أعلم .

* ولكن أليس الله سبحانه وتعالى ، قادرا على أن يطوى الأرض لنبيه ﷺ ، فينتقل من مكة إلى بيت المقدس فى طرفة عين ، دون الاستعانة بركوب البراق الذى جاء وصفه فى الحديث ؟

* لقد كان ركوب البراق وصحبة جبريل عليه السلام نوعاً من المؤانسة للنبى ﷺ ، لأن العادة جرت بأن الملك إذا استدعى من يحبه يبعث إليه بما يركبه .. ولقد خص البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به ، لأنه لم ينقل أن أحدا ملكه ، بخلاف غير جنسه من الدواب ، وقد كانت القدرة صالحة أن يصل ﷺ إلى بيت المقدس من غير براق ، لكن ركوب البراق كان زيادة فى تشريفه ، لأنه لو وصل بنفسه لكان فى صورة ماش ، والراكب أعز من الماشى .

هذا ، وقد وردت روايات عن شق صدره ﷺ ، فلم كان ذلك ، ومتى كان ؟

إن الرواية الثانية لم تبين متى كان ، أما الرواية الثالثة فهى صريحة وواضحة فى أنه حصل وهو غلام صغير يلعب مع الغلمان فى بنى سعد .. وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ، والرواية الخامسة تفيد أنه حصل ليلة المعراج ، والرواية السابعة تفيد أنه حصل ليلة الإسراء ، ولا منافاة بين الرواية الخامسة والرواية السابعة ، غاية الأمر أن فى سياق الخامسة حذفا ، وأصلها .. « فأفرغها فى صدرى .. ثم أطبقه .. ثم أتيت بداية أبيض .. حتى وصلنا إلى بيت المقدس .. ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء » إلخ .. فالشق ليلة الإسراء هو الشق ليلة المعراج ، بناء على أنهما كانا فى ليلة واحدة .

وقد أراد الحافظ ابن حجر أن يجمع بين الروايات السابقة فقال : وقع الشق ثلاث مرات ، ولكل منها حكمة ، فالأول وقع فى زمن الطفولة ، فأخرج من الصدر علقة ، وقال : هذا حظ الشيطان منك ، فنشأ ﷺ ، على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع الشق عند البعث زيادة فى إكرامه ليتلقى مايوحى إليه بقلب قوى ، فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل الأخير أن تقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه ﷺ .

ثم قال الحافظ ابن حجر : وجميع ما ورد من شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم به ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته ، لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك . ثم نقل عن القرطبى قوله فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء ، لأن رواته ثقات مشاهير .. ا هـ .

ويؤيد أن الشق على الحقيقة قول أنس فى الرواية الثالثة : « وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره » ﷺ .

* * *

ونعود إلى قوله تعالى « لنريه من آياتنا » فماذا رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى فى رحلته من مكة إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس إلى السموات العلا .

إن العلماء لم يتركوا هذا السؤال بلا إجابة فقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها :

مارواه الطبرانى والبزار عن أبى هريرة أنه ﷺ « مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل: هؤلاء هم المجاهدون، ومر بقوم ترضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت . قال : هؤلاء الذين تثاقل رءوسهم عن الصلاة ، ومر بقوم على عوراتهم رقاع يسرحون كالأغنام . قال : هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة ، ومرة بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا ، ويدعون لحما نضيجا طيبا . قال : هؤلاء الزناة ، ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها ، ثم هو يضم إليها غيرها ، قال : هذا الذى عنده الأمانة لا يؤديها ، وهو يطلب أخرى . ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم ، كلما قرضت عادت . قال : هؤلاء خطباء الفتنة . ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير ، ثم يريد أن يرجع فلا يستطيع ، قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة ، فيندم ، فيريد أن يردها فلا يستطيع » .

• أما البيهقى فيقول فى الدلائل رواية عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ : « مر بشىء يدعوه ، متنحيا عن الطريق ، فقال له جبريل : سر ، وأنه مر على عجوز ، فقال : ماهذه ؟ فقال : سر ، وفى آخره : « فقال : الذى دعاك إبليس ، والعجوز الدنيا » .

• وعند الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة : « ثم مر بقوم بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر، وأن جبريل قال له: هم آكلو الربا. وأنه مر بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون حجرا ، فيخرج من أسافلهم ، وأن جبريل قال له : هؤلاء أكلة أموال اليتامى » .

يقول الشيخ موسى لاشين : وعندى ، أن هذه الأحاديث – إن صحت – هى تصوير للترغيب أو للترهيب ، وربما كانت صورة لما سيحدث فى الآخرة

من هيئة الأجر أو العقاب ، وليست أمورا واقعية ، وعدها من قبيل آياته الكبرى لا يخلو من تسامح ..

أما الآيات الحقيقية فيمكن أن يكون منها :

١ – شق صدره ﷺ ، وقد سبق الحديث عنه .

٢ – والبراق ، وسرعته .

٣ – والمعراج واختراقه .

٤ – ورؤيته البيت المعمور .

٥ – ولقاؤه مالكا خازن النار .

٦ – ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ سدرة المنتهى ، والرواية الأولى تشبه ورقها بآذان الفيلة ، وثمرها بالقلال . وتبهم وتفخم مايغشاها من أمر الله ، حتى أن أحدا من خلق الله لا يستطيع أن ينعتها لحسنها ، والرواية العشرون تفسر مبهم الرواية الأولى بأنه يغشاها فراش من ذهب .

٧ – ومن الآيات الكبرى رؤيته ﷺ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وفيها – غير ماورد فى الروايات التى ذكرناها – ما جاء عند البيهقى فى حديث أبى سعيد « فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، فصلى كل واحد منا ركعتين ، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم » .

وعند أبى حاتم « فلم ألبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفا ، ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل ، فقدمنى ، فصليت بهم » .

ومما هو غنى عن البيان أن الهدف من هذا اللقاء وهذا الاستقبال هو الترحيب والتكريم والتشريف .

ولكن .. لماذا كان موسى عليه السلام هو الذى ينصح النبى ﷺ بمراجعة ربه فى شأن الصلاة ؟

أراد بعض العلماء تبرير ذلك ، رغم أن من المحدثين من ينكر هذا ويعتبره من الإسرائيليات التى تزعم الوصاية من موسى عليه السلام ، فيتقدم بالنصيحة إلى محمد ﷺ لطلب التخفيف عن أمته .

• يقول القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلاة ، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلاة مالم يكلف به غيرها من الأمم ، فثقلت عليهم ، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك .. ويشير إلى ذلك قوله : « إنى جربت الناس قبلك » .

• وقال بعضهم : يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه الأسف فى الابتداء على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد ﷺ ، حتى تمنى ماتمنى ، يحتمل أن يكون قد استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم ، والشفقة عليهم ، ليزيل ماعساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء .

وهذا كلام جيد ، وبضمه إلى ماقاله القرطبى يتم المقصود .

مع الحافظ ابن كثير

انتهت روايات ابن هشام في سيرته والبخاري في صحيحه ، ومسلم في صحيحه ، وملخص لتعليقات على ما ورد في تلك الروايات ، وبقى ما يقوله المفسرون ، ونختار منه تعليقاً للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، فلقد أورده في تفسيره ما يزيد على خمس عشرة رواية ، لا تخرج عما ذكرناه ، وفي إيرادها هنا زيادة تكرار قد يمله القارىء ـ لذلك نكتفي بإيراد تعليق له أخير على الروايات التي ذكرها . . إذ يقول :

وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث ، صحيحها ، وحسنها ، وضعيفها ، يحصل ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ ، من مكة إلى بيت المقدس ، وأن هذا الإسراء كان مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، ونقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى ـ مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه الصلاة والسلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء ، وفرح القائلون بهذا المسلك ، وظنوا أنهم قد ظفروا بشيء يخلصون به من الإشكالات المتعددة ، وهذا بعيد جداً ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته . . ولنقله الناس على التعدد والتكرار .

قال موسى بن عقبة عن الزهري : كان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة ، وقال السدى بستة عشر شهراً ، والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به يقظة لا مناما ، من مكة إلى بيت المقدس ، راكباً البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة ، عند الباب ، ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج ، وهو كالسلم ، ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه

إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ﷺ وعليهما ، وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة ، فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ، ورأى هناك جبريل على صورته ، وله ستمائة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية ، مسنداً ظهره إليه ، لأنه الكعبة السماوية ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، يتعبدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . . ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ، ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده ، وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء ، والذي تظاهرت به الروايات أنه صلى بهم في بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحداً واحداً ، وهو يخبرهم بهم .

* يستنتج الإمام ابن كثير أنه لو كان النبي ﷺ صلى بالأنبياء في بيت المقدس قبل الصعود إلى السماء لما كان في حاجة إلى أن يسأل عنهم جبريل بعد ذلك ، لأنه يكون قد عرفهم عند استقبالهم له ، وسؤاله عنهم دليل على أنه لم يعرفهم ، وأنهم لم يستقبلوه في بيت المقدس ، ولم يصل بهم أول وصوله إليه . . وإنما صلى بهم - إذا صحت رواية صلاته بهم - بعد نزوله إلى بيت المقدس عندما انتهت رحلة المعراج . . وكأن صلاته بهم كانت حفلة توديع لا استقبال ، كما تظاهرت الروايات عليه . . يقول ابن كثير : وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة ، وذلك عند إشارة جبريل عليه السلام في ذلك .

ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق ، وعاد إلى مكة بغلس ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل ، أو اللبن والماء ، أو اللبن والخمر ، أو الجميع ، فقد ورد أنه في بيت المقدس ، وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون هاهنا وهاهنا ، لأنه كالضيافة للقادم . . والله أعلم .

ويستطرد الإمام ابن كثير قائلاً :

ثم اختلف الناس ، هل كان الإسراء ببدنه عليه الصلاة والسلام وروحه ، أو بروحه فقط ؟ على قولين ، فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا مناماً ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ، ثم رآه بعد ذلك يقظة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . . والدليل على هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ﴾ . فالتسبيح هنا إنما يكون عند الأمور العظام ، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظماً ، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال الله تعالى ﴿ أسرى بعبده ليلاً ﴾ . وقال تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي رؤيا عين ، أري بها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم ، رواه البخاري .

وقال آخرون : بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده ، قال محمد ابن إسحاق بن يسار في السيرة : حدثني يعقوب ابن عقبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ ، قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن أسري بروحه . قال ابن إسحاق : فلم يذكر ذلك من قولها ، لقول الحسن أن هذه الآية نزلت

﴿ ومـا جعلنـا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ولقول الله تعـالى في الخـبر عن إبراهيم : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر مـاذا تـرى ﴾ قـال : ثم مضى على ذلك ، فعرفـت أن الوحي يأتي للأنبيـاء من الله ايقاظـاً ونيامـاً ، فكان رسـول الله ﷺ يقـول : « تنام عينـاي وقلبي يقظان » . والله أعلـم أن ذلك كـان قد جاءه وعـاين من الله فيه ما عاين على أي حالاتـه كان ، نائماً أو يقظان . كل ذلك حق ، وصدق . . انتهى كلام ابن إسحاق .

يقـول ابن هشام : وقـد تعقبه أبـو جعفر بن جـرير في تفسيره بـالرد والإنكـار والتشنيع بأن هـذا خـلاف ظاهـر القرآن ، وذكـر مـن الأدلة على رده بعض ما تقدم . . والله أعلم .

فرضيـة الصـلاة

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة قد فرضت على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وطلب النبي ﷺ التخفيف ، فاستقرت خمساً في الأداء ، وخمسين في الأجر والجزاء ، ولكن الثابت أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يصلي في مكة قبل الإسراء ، فكيف وفق العلماء بين الصلاة قبل الإسراء ، وحديث فرضيتها ليلة الإسراء ، في حالة العروج إلى السموات العلا :

في كتاب «خاتم النبيين : للشيخ محمد أبو زهرة حديث عن ذلك يقول فيه :

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ كان التكليف لتبليغ الرسالة والدعوة إلى أمر الله ودينه ، ولا دين بغير صلاة ، لأنه لا بد لكل دين من عبادة ، ولا عبادة من غير صلاة ، فهي عمود الدين ، وركنه الركين .

ولذلك اقترن التبليغ بفرضية الصلاة اقتراناً زمنياً ، لأن الصلاة مقترنة بكل دين اقتراناً عملياً .

ولقد قال الرواة أن الصلاة فرضت ركعتين بمجرد البعثة المحمدية ، وكانت تصلى مرتين : أولاهما في الصباح ، والثانية في المساء ، وفرضت ركعتين في كل منهما . ولقد قال في ذلك المزني من أصحاب الشافعي رضي الله عنه ، إن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء ، كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا قول الله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ .

ولقد قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها فيما رواه ابن أختها عروة ابن الزبير : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم أيد الله تعالى أنها في الحضر أربعا ، وأقرها على فرضها في السفر ركعتين ، وبهذا يتبين أن الصلاة كانت مفروضة من أول الإسلام . وظاهر المروى أنها فرضت ركعتين ، وفي وقتين اثنين هما في العشي والإبكار . قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .

هذا هو المفروض على الكافة ممن يسلمون ، أما التطوع ، فبابه مفتوح ، والنبي مأمور بكثرة الصلاة ، وقد قال تعالى مشيراً إلى طلب الصلاة الكثيرة من النبي ﷺ : ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا * إن لك في النهار سبحاً طويلا** ﴾ .

وذكر الرواة أن جبريل روح القدس هو الذي علم النبي ﷺ الوضوء ، فقد ذكروا أن جبريل عليه السلام نزل عليه وهو بأعلى مكة المكرمة فهمز بعقبة في ناحية الوادي فنبع الماء ، فتوضأ جبريل ، وعلم النبي عليه الصلاة والسلام بذلك الوضوء قبل الصلاة .

وقد روى كتّاب السيرة ذلك الخبر بسند غير متصل ، ولكن روى متصلاً عن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه .

وبهذا يتبين أن الوضوء فرض لكل صلاة ، وكانت فرضيته وهو عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة ، وقد استمر من بعد ذلك ، وكان والصلاة ركعتان مرتين ، واستمر وقد صارت أربعاً في الظهر والعصر والعشاء ، وثلاثاً في المغرب ، وركعتان في الصبح ، وذلك غير السنن على ما هو مبين في فقه العبادات .

وقد أشار القرآن الكريم إلى مواقيت هذه الصلوات الخمس ، فقد قال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ وقد قالوا إن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، وهذا لا يمنع أن يكون لكلمة الوسطى معنى آخر هو المثلى .

وقد قال تعالى مشيراً إلى أوقات الصلوات كلها : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ فقد أتى بصلاة الصبح مشيراً بقوله « تصبحون » وبصلاة العصر مشيراً بقوله « تمسون » وبصلاة المغرب والعشاء مشيراً بقوله تعالى « وعشيا » فيها العشاءان ، حتى قال بعض الفقهاء إن وقت المغرب والعشاء واحد ، يصلى أسبقهما أولاً ، وثانيهما آخرا ، وأتى بصلاة الظهر بعبارة تكاد تكون صريحة ، وهي قوله تعالى : « وحين تظهرون » .

شبهة والإجابة عنها

في ذكر الإسراء والمعراج ، وما يروى أن النبي ﷺ كان ينزل ويصعد بين ربه وبين موسى عليه السلام ليسأل ربه التخفيف في الصلاة ، تولد عن هذه الحركة ، بل عن مسألة المعراج كلها شبهة مؤداها هذا السؤال :

* هل يختص ربنا سبحانه وتعالى بجهة ، أو يتحيز في مكان ، بحيث يتسنى لعبده أن يخاطبه ويسمع منه بتلك الكيفية التي قد يتصورها العقل ، من الكلام المتبادل بين الله سبحانه وتعالى ، وعبده محمد ﷺ ؟

لقد خشي علماؤنا أن تخطر هذه الشبهة على بال مسلم ، أو ترد على خاطره ، أو لعلها وردت فعلاً فسأل عنها قراء مجلة (الإسلام) فنشرت مقالاً لفضيلة الشيخ يوسف الدجوي ، في العدد ٢٩ السنة الخامسة ، في شهر رجب سنة ١٣٥٥ هـ . . قال فيه رحمه الله :

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات ، وعن صفات المخلوقات ، وقد أولع بعض الناس الآن بذكر آيات المتشابهات للعامة التي لا ينبغي أن يتكلم بها إلا في مجالس الخاصة من العلماء عند الاقتضاء .

ومن ذلك ما ورد في الإسراء والمعراج ، فرأينا أن نكتب كلمة في ذلك راجين من أولئك المتفيهقين أن يقتوا الله ، ولا يذكروا للعامة إلا ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ؛ فإنهم لا يعرفون من الأشياء إلا ظواهرها ، فنقول . . وبالله التوفيق :

يدل على التنزيه في قصة الإسراء والمعراج ، وأنه ما كان لقطع المسافات فيما بينه ﷺ وبين الله سبحانه وتعالى ، أو لكونه جل شأنه على عرشه كما في عبارات كثيرة لابن تيمية وابن القيم ، وأتباعهما ، دلائل كثيرة نقلية وعقلية ، لمن تبصر ، فضلاً عن البرهان العقلي الذي يوجب له التنزيه ونفي التشبيه .

فمن ذلك افتتاح السورة بقوله عز وجل ، ﴿ سبحان الذي أسرى ﴾ المقتضى للتنزيه تنبيهاً على عدم تحيزه ، ونفي اختصاصه بجهة .

الثاني : قوله جلت قدرته ﴿ أسرى بعبده ﴾ فأتى بالباء المفيدة للمصاحبة ، تنبيهاً على مصاحبته له ـ تعالى ـ في حالة إسرائه ، وأنه ليس نائياً ولا بعيداً عنه فيحتاج قربه إلى قطع مسافات مكانية . وقد قال ، ﷺ « اللهم أنت الصاحب في السفر » .

الثالث : قوله ﴿ بعبده ﴾ تنبيهاً على أنه على حسب التحقق بخضوع العبودية يكون الترقي إلى حضرة الربوبية ، لا بقطع المسافات ، أو كثرة الحركات .

الرابع : قوله ﴿ ليلاً ﴾ وكان لفظ الإسراء مفيداً لذلك ، ولكنه ذكره تنبيهاً على أن كل ما تضمنه الإسراء كان خارجاً عن العادة في مثله ، فإنه جعل العلة فيه أن يريه من آياته ، والإراءة العادية سلطانها النهار ، فقال « ليلاً » ليعلم أن الرؤية المقصودة ليست عادية ، بل هي رؤية أُريها بنور رباني سلطان موسمه الليل دون النهار .

الخامس : قوله ﴿ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ تنبيه على أن الإسراء لو كان لضرورة رؤية ربه لكونه مخصوصاً بجهة العلو لم تكن هناك حاجة إلى الذهاب إلى المسجد الأقصى ، ولأمكن الترقي من مكة إلى السماء مباشرة ، فدل على أن الإسراء والترقي من مكان إلى مكان لحكمة وراء ما زعم مثبت الجهة من المشبهة وأذيال المشبهة .

وفي ذلك إشارة إلى أن العبد لا يصل إلى الله تعالى إلا فرداً ، تحقيقاً لقوله تعالى ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ ولا تتحقق له الفردية إلا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها . فهناك يصل إلى حضرته تعالى ، وصولاً لا يشبه وصول الأجسام ، وقد جاء الكتاب العزيز بالتنبيه على أن حضرة عنديته وراء دوائر السموات والأرض حيث قال تعالى ﴿ ومَنْ عِنْدَه ﴾ فعطف « من عنده » على من في السموات والأرض ، والعطف يقتضي المغايرة .

وقد قال ﷺ « والذي نفسي بيده ، لو دلّي أحدكم بحبل في بئر لوقع

على الله ، فنبه ﷺ على عـــدم تحيزه في السماء ، وأنـه سبحـــانه وتعالـــى ليس مختصاً بجهة .

هـــذا وإذا أردت التبصر في أن الإســـــراء ، وعـــروج الملائكـــة ورفع عيسى وإدريس صلى الله عليهم وسلم ، إلى السماء ، لا يدل على أن الله تعـالى مخصوص بجهة السماء ، فـاعتبر فرض الحج على العبـاد إلى البيت الحرام ، وأمـــر الله تعالى إلينا بالتـوجه إليه من جميع الجهات ، وجعل سكانه جيران الله تعـالى ، وحجاجه وفده وضيفـانه ، والحجـر الأسود يمينـه ، فماذا تفهم من كون الكعبـة بيت الله ، وكون الحجر الأسود يمينه . . إلخ . . ؟

أظنك لا تعدو به التمثيل ، وبيان أن الاعتناء بـزائريه الذين جعلهم ضيوفه ، وطلب منهم تقبيل الحجر ليكـون بمنزلة تقبيل يمين الملك ، إلى آخر مـا لا تسعه هذه العجـالة ، ثم انظـــــر إلى مثل قولـه تعالى ﴿ **وهـو الذي في السماء إلـــه وفي الأرض إلَـه** ﴾ وقـــد قـــال ﴿ **لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلَـــه واحـــد** ﴾ ولكن إذا كـان المقصود بـالسياق تحذيـراً لأهل الأرض ، وتفخيم الأمر جـاء التعبير بمن السماء ، فإن مظاهـره السماوية هي المشاهـدة بالبصر ، وهـــي أعظم في النفوس من مظاهر الأرض .

وأما تنـزل التدبير وعروجـــه المشـار إليـه بمثل قـــوله تعـــالى ﴿ **يتنزل الأمر بينهن** ﴾ فتكـون السماء محـــل التصريف والفعـل ، والأرض محـــل القـابليـة والانفعـال ، فهـو كما قـال بعـض العـارفين : (عـروج روحـاني ، وسر رحماني ، وكشف عـرفاني) أسـأل الله أن يلهمنا الرشـد في كل شيء ، وأن يعـرفنا أسـرار كتابه ، ولطائف خطابه . آمين .

الإسـراء .. متى ؟ ولمـاذا ؟

ونعـود إلى السؤال : متى كـان الإسراء . . ولماذا كان ؟ فلقـد اختلف العلماء ـ كما ذكـرنا ـ في زمـانهما ومكـانهما ، كما اختلفـوا في كيفيتهما : بالجسد والروح ، أم بالروح فقط ؟ وزيادة في تفهم هـذه المسألة نـورد رأي الإمـام الشيخ محمد أبو زهرة ملخصاً من كتابـه «خاتم النبيين» الذي جـاء فيه :

كـان الإسراء في السنة التي كـانت قبل الهجـرة ، وروى البيهقي عن ابن شهاب الزهري أنه كـان في السنة التي قبل الهجرة ، وروى الحاكم إن الإسـراء كان قبل الهجرة بستة عشر شهراً .

واختلف على ذلك في الشهر الذي أسـرى به فيه ، فالسدى قـال أنه كـان في ذي القعدة ، والزهري قال : بل كان في ربيع الأول .

وروى عن جـابر وابن عباس أنهما قالا : ولـد رسـول الله ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشـر من شهـر ربيع الأول ، وفيـه بعث ، وفيه عـرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

وفي روايـة أن الإسراء كـان في ليلـة السابعـة والعشـرين من شهـر رجب ، ويقـول بن كثير : وقد اختـاره الحافظ ابن سـرور المقدسي . وقد أورد حديثاً لا يصح سنـده ، كما ذكرنـا ، في فضائل شهـر رجب ، وأن الإسـراء كان في ليلة السابعة والعشرين من شهر رجب . . والله أعلم . ومن النـاس من يزعم أن الإسراء كـان في أول ليلـة جمعـة من شهـر رجب ، وهي ليلـة الـرغـائب التي أحدثت فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك ، والله أعلم . .

وقد جـاء في نهاية الأرب أن الإسراء كان في ليلة السبت ، ليلـة سبع عشـرة من شهـر رمضـان ، قبل الهجـرة بثمانية عشـر شهراً ، وقـد أسرى به ﷺ وسنـه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر .

وبعد ذكر هذه الاختلافات ، يعلق الشيخ أبو زهرة . . فيقول :

ونتهي من هذا إلى أن علماء السيرة النبوية مختلفون في تعيين اليوم الذي كان فيه الإسراء ، ولكن الواقعة ثابتة . وقد اتفقوا على أنها كانت بعد ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف ، وردهم له الرد المنكر ، وأن كونها في ليلة السابع والعشرين من رجب ثبتت بخبر لم يصح سنده في نظر الحافظ المحدث ابن كثير . . وقد قال من بعد ذكره : والله سبحانه وتعالى أعلم . .

وقد رأينا الناس قبلوا ذلك التاريخ ، أو تلقوه بالقبول ، وما يتلقاه الناس بالقبول ليس لنا أن نرده ، بل نقبله ، ولكن من غير قطع ، ومن غير جزم ويقين .

واتفقت الروايات أيضاً على أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة على الأقل ، ويظهر أنها كانت في السنة التي قبل الهجرة في ثلثها الأول ، أو الأخير . . والله سبحانه وتعالى أعلم . .

وهنا قد يسأل سائل : ما المناسبة لمسألة الإسراء والمعراج ، وتعيين الله تعالى لزمانها ، والله سبحانه وتعالى حكيم عليم ، يضع الأمور بموازينها ، وفي أوقاتها ، وأجلها المعلوم ؟ ولنا أن نتعرف حكمة الله تعالى من غير أن نقطع بأن هذا هو مراده جل شأنه ، فهو العليم الخبير ، الذي لا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة في الأرض ولا في السماء .

ونجيب عن هذا التساؤل بأن الله سبحانه وتعالى استجاب لنبيه ﷺ في ضراعته بالدعاء الذي دعا به ربه غب خروجه من الطائف . شكا ضعف قوته فأمده الله تعالى بالقوة ، وقلة الحيلة فأمده بحسن التدبير لدخول مكة المكرمة آمناً مطمئناً .

لقد أحس النبي ﷺ بالوحشة بعد وفاة الحبيبين ، خديجة العطوف ، وأبي طالب الشفيق ، فقال الله تعالى له بالفعل : إن أنس الله أكبر ، ورحمته أعظم ، وحياطته أكرم ، وإن عنايته بك وبرسالتك هي التي ستبلغك أمرك ، وتصل بك إلى غايتك . . وهو المهيمن الرءوف الرحيم ، لذلك كان الإسراء ، ومن بعده عروجه إلى السماء .

ثم يورد الشيخ الإمام أبو زهرة الروايات التي جاءت في مسألة الإسراء

والمعراج ، ويعلق عليها قائلاً : وهذا كله يدل على أن الإسراء كان بالروح والجسد ، فإنه تلاقى مع المارين بين مكة المكرمة والشام ، وأخبر عن هذا التلاقي ، وصدق خبره عليه الصلاة والسلام ، وإذا كانت بعض هذه الروايات في إسنادها كلام فإن بعضها يقوي الآخر ، ونص القرآن الكريم ظاهر في تأييد الدعوى ، بل لا يدل على غيرها حتى يقوم الدليل .

ولو كان الإسراء بالروح أو الرؤيا الصادقة ما كانت هناك غرابة تمنع التصديق ، ولبادر النبي ﷺ بإخبارهم أن ذلك رؤيا منام ، أو وحي أوحى إليه به . ولكنه ﷺ لم يخبر بذلك ، بل أكد على الإسراء به متيقظا ، راكبا البراق ، مشاهداً لآيات الله ، مقابلاً للقوافل في الصحراء سواء في ذهابه أو إيابه ، تاركاً مع تلك القوافل أمارات ، إذ يشرب من إناء إحداها ، فيصبحون لا يجدون الماء في الإناء ، وينادي على أحدهم ليسترد البعير الشارد فيسمعون صوته ، ولا يرون جسمه ـ ربما لسرعة سير البراق ، أو للظلام الشديد إذا كان الإسراء في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب وهي ليلة يكون القمر فيه محاقاً ولا يظهر ضوءه إلا لحظات عند الصباح . . كل هذا يؤكد لمن كان له عقل وقلب أن الإسراء والمعراج كان بالجسد و الروح ولا ينبغي فيه الجدال والمراء ، لأنه لا يخرج عن حيز الإيمان بما هو ممكن في حق الله تعالى شرعاً وعقلاً من قدرته على فعل كل ما هو ممكن . . وهذا الحادث ، وإن كان خارقاً للعادة ، لكنه لم يكن للتحدي ، ولم يره المعارضون ، ولم يطلب منهم أن يأتوا بمثله ، فهو ليس داخلاً ـ كما قلنا أولاً ـ في نطاق المعجزات ، بل هو تكريم وتشريف وتعظيم لمقام النبي ﷺ .

حادث تربوي توجيهي

في كتابه « توجيهات إسلامية » يحدثنا الشيخ الإمام الأكبر محمود شلتوت عن الإسراء والمعراج ، وكالعادة يبدأ الحديث في هذه المناسبة بذكر تلك الآية الكريمة من أول سورة الإسراء :

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

ثم يقول ـ رحمه الله :

يستقبل المسلمون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، وقد شاع بينهم بعد العهود العملية الأولى ، أنها « الليلة » التي أسرى فيها بالنبي ﷺ من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عرج به إلى السموات السبع واحدة فواحدة ، إلى الملأ الأعلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث سمع صريف الأقلام ، ورأى سدرة المنتهى والبيت المعمور ، وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة على أمته ، ثم سأل ربه التخفيف بمشورة موسى عليه السلام ، فخفضها إلى خمس ، وكانت خمساً وخمسين في الأجر والثواب ، ثم رجع من ليلته بعد أن رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى .

ومن هنا اعتقد العامة وأشباههم أن لهذه الليلة فضلاً تمتاز به عن سائر ليالي شهر رجب ، بل عن سائر ليالي السنة كلها ، حتى ليلة القدر ، وبذلك اتخذوها موسماً شرعياً ، يقيمون به حفلاً دينياً بالعبادة والذكر والدعاء ، وبما ألفوا فيها اخترعوا من أعياد ومواسم وموالد ، ويطيب لهم في هذا الحفل أن يسمعوا كل ما ورد من الغرائب التي نسبت إلى هذا الحادث التربوي التوجيهي العظيم .

والإسلام لا يعرف لشهر رجب سوى أنه أحد الأشهر الأربعة التي قرر الله حرمتها في شرعة القديم ، واستمرت كذلك في الإسلام ، وفيها نزل قوله تعالى ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق

السموات والأرض منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ .

أما الإسراء وليلته ، فإنه بالرجوع إلى المصادر التي تحدثت عنه ـ وما أكثرها ـ لا نجد شيئاً مما قيل فيه أو نسب إليه اتفقت عليه الكلمة والنقل سوى أصل « الإسراء والمعراج » ، وفيما عدا هذا من نواحي الحادث وأنبائه اختلفت فيه الروايات والآراء اختلافاً كثيراً اتسع نطاقه حتى بدا في كثير من غرائبه بثوب الاختراع والتخيل .

اختلفت الروايات في عدد مراته ، واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك . .

واختلفت في وقته : سنته ، وشهره ، وأسبوعه وليلته . .

واختلفت في وصف البراق ، راحلة الإسراء ، وفي وصف المعراج مرقاة الصعود إلى السماء ، واختلفت في مكان اجتماع الرسول بالأنبياء السابقين : في السماء أم في الأرض بعد العروج أم قبله ؟

اختلفت في كل هذا ، وفي غيره مما يتصل بالحادث عن قرب أو بعد . . وأخيراً اختلفت فيه الآراء من جهة الجسمية والروحية . . هل كان الإسراء والمعراج بالجسم والروح معاً ، أم كانا بالروح فقط ، أم كان الإسراء بالجسم والمعراج بالروح . . ؟

وقد اتسع ميدان الرأي في الإسراء والمعراج ، إلى أن دخلت فيه قهراً الآيات الأولى من سورة النجم التي نزلت لتؤكد أن القرآن وحي من عند الله ، وليس ـ كما يثيره القوم حوله ـ من صنع محمد ، افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . كلا ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ .

وقد وصل الاختلاف فيما يتصل بهذا الحادث إلى التفاضل بين ليلته وليلة القدر . . وليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم ، وقد أتى أحد الناس إلى

ابن تيمية يسأله عن رجلين يفضل أحدهما ليلة الإسراء ، ويفضل الآخر ليلة القدر ، أيهما المصيب ؟

وينكر الشيخ العظيم كل الإنكار على من يزعم أن ليلة الإسراء ، من جهة ذكراها ومن جهة إحيائها بالعبادة والدعاء أفضل من ليلة القدر . . ويقول : « إنه معلوم الفساد باطراد من دين الإسلام ، هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف بعينها ، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ، ليس فيها ما يقطع به . . . ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها ، وما كان الصحابة والتابعون يقصدون تخصيصها بأمر من الأمور . . ولا يذكرونها ، ولهذا لا تعرف أي ليلة كانت ، بل هناك أيام وأماكن أخرى ، ربما كانت جديرة بالتفضيل ولم يصلنا خبر يخصص شيئاً منها بذلك ، مثل غار حراء الذي ابتدىء فيه نزول الوحي ، ومثل أول يوم أنزل فيه الوحي ، فهما لم يخص واحداً منهما بعبادة ولا غيرها ، ولم يقصدهما النبي ﷺ ، ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه في مكة » .

والسؤال الذي يفرض علينا نفسه بعد ذلك . . هو : هل لهذا الخلاف نتيجة مؤثرة في صدق الإخبار بهذا الحادث . .

ينبه الإمام الأكبر ، الشيخ محمود شلتوت بأن هذه الخلافات الواردة لا ينبغي أن يكون لها أثر ذو بال في أصل الحادث نفسه ، فهي خلافات في فرعيات بعيدة عن أصل الحادثة ذاته . . لماذا ؟ لأن ذلك ناشىء من عدم عناية الصحابة بحفظ تواريخ الأحداث ، فقد كانت الأمية شائعة بينهم ، وهم مع هذه الأمية كانوا يقدرون الأحداث وينظرون إليها باعتبار ذاتها ، وباعتبار نتائجها فقط . . دون ربط لها بزمان أو مكان . . وإن الزمان والمكان لم يكونا في الواقع سوى ظرف ضروري للوقوع والحدوث ، وإذن فلا ينبغي التعلق به وقصده بالإحياء والتفضيل إلا بقدر ما يرد فيه من الله سبحانه وتعالى . . ومن ذلك ما خص يوم الجمعة ويوم العيدين ، ويوم عرفة ، ومن هنا لا يكون للمسلمين حق اختراع أعياد ، وإقامة حفلات دينية في أي مكان لما نقل من أحداث الرسول ﷺ ، فضلاً عما هيأته ظروف الضعف من أزمنة وأمكنة ، مثل موالد الأولياء التي تُعمل اليوم بجهود جبارة على إقامتها وتنظيمها ، ودعوة

الناس إليها ، والتسابق فيها ، وهى مبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان .

وإذا كان لنا أن نذكر حادث الإسراء ، فإنما نذكره أولا فى حدود اليقين والاطمئنان لا فى متسع الظنون والاضطراب ، وأن نذكره ثانيا بقلوبنا ، وفى أوقاتنا كلها بما يرشد إليه من إيحاء ننتفع به فى حياتنا على توالى السنين والأجيال ... وإن حادث الإسراء بعد أنه تثبيت وتكريم للنبى ﷺ ، وإعداد لقواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة ، ومشاق الجهاد فى سبيل الله ، وتطمين له على حسن العاقبة ، وعلى خذلان أعدائه ، وعلو كلمته ، هو بعد ذلك كله يوحى للمسلمين بمكان بدئه وهو المسجد الحرام ، ومكان نهايته وهو المسجد الأقصى ، يوحى بتذكر مهابط الوحى الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل ، ومهابط الوحى الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى ، وأنها كلها مهابط الرسالة الإلهية التى جاء محمد لتكميلها والهيمنة عليها . وأن تلك الرسالات ، وإن اختلفت أزمنتها ، وتعددت رسلها ، واحدة فى دعوتها وغايتها ، وإن الرسل جميعا الذين اصطفاهم الله لتبليغها بناة بيت واحد ، يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله ، صاحب الإسراء والمعراج ، وإذن فلابد أن يخفق على هذه الأماكن جميعها علم التوحيد والإيمان ، على النحو الذى جاء فى رسالته ، ولابد أن تطهر رقعتها من بذور الشرك والوثنية والظلم والفساد ، وأن يعلو فيها سلطان الحق ، وعدالة السماء .

وإذا كان المبدأ – وهو المسجد الحرام – يجب على المسلمين تطهيره وتطهير إقليمه مما تأباه الرسالة الإلهية ، فإن منتهاه وهو المسجد الأقصى وإقليمه يجب كذلك تطهيرهما مما تأباه الرسالة السماوية ..

ونعود فنقول : ما حكمة الإسراء ؟

يجيب على هذا التساؤل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .. فيتلو أولا هذه الآيات من سورة النساء ، قال الله تعالى :

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً ، رسلا مبشرين

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

هؤلاء الرسل هم ألسنة الإصلاح ودعاة الخير والتزكية التى يرتضيها الله لعباده ، بها ينظمون فطرهم ، ويكملون إنسانيتهم ، ويصلون بها أقصى ماقدر لها من كمال . وتبعا لتفاوت الأطوار التى درجت فيها الإنسانية فضل الله بعض هؤلاء الرسل على بعض ، حتى إذا وصلت الإنسانية إلى مرحلة الرشد ، وتأهلت لخوض غمار هذا الكون ، والكشف عن أسراره ، وتفتحت لها عيون الحكمة فيه ، كان رسولها فى تلك المرحلة هو الرسول الأعظم ، رسول الإكمال والإتمام ، اللبنة الأخيرة التى بها يكمل البناء ، ويتم الحسن والابتداع .. « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** » ، « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » ، ثم « **مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا ، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون .. ويقولون : لولا موضع اللبنة .. فأنا اللبنة .. وأنا خاتم النبيين** » .

وهكذا كان وضع محمد ﷺ من إخوانه السابقين ، وبهذا الوضع رفعه الله درجات ، وجعله مظهرا لكمال رحمته بالإنسان ، وسجل له فى نفسه ورسالته وكتابه وأمته من درجات الفضل والرفعة والعزة ، مالم يسجل لأحد قبله فى ناحية من هذه النواحى ، ففى خاصة نفسه يقول الله تعالى له .. ﴿ **ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذى أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك** ﴾ . وتتوالى الآيات تكرم محمدا ﷺ وترفع ذكره ﴿ **نون . والقلم ومايسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ والله سبحانه وتعالى يضمن لمحمد الغاية التى ترضيه ، ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ فلقد جاء بالرحمة للناس أجمعين ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ثم هو رسول إلى الناس كافة ﴿ **وما أرسلنا إلا كافة للناس بشيرًا ونذيراً** ﴾ . أما الكتاب الذى جاء به فهو هداية للتى هى أقوم ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ وهو إعجاز للجن والإنس لا يأتون بمثله ، مهما ظاهر بعضهم بعضا أو ساعد كل منهم

الآخر ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ وهو كتاب يجب اتباعه ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ فهو الحق المصدق لما بين يديه من الكتاب ، والمهيمن عليه ، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ . أما الأمة التى آمنت به ، واستضاءت بهديه فهى كما يقول عنها رب العالمين . ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وهى الأمة الوسط ، أى الأمة المثلى ، التى لا تُفرط ولا تفرِّط ، بل هى شاهدة على الناس والرسول شاهد عليها ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ .

هذه بعض الدرجات التى رفع الله بها نبيه محمدا ﷺ ، وليست نسبتها إلى ماوراءها من مراتب الكمال التى أنعم الله بها على عبده محمد ، إلا كنسبة الرذاذ إلى الغيث الغزير ، أو الوشل إلى الخضم الكبير .

وإذا كانت قلوب أتباعه مؤمنة بماله عند ربه من هذه المراتب ، وكانت قلوب غيرهم تحترم الحق فتنظر إليه بعين الإجلال والتقدير ، وبعين الواقع المحس المشاهد فيما أتيح للعقل البشرى من مخترعات – كان من السهل على الناس جميعا أن يؤمنوا بما قصه الله علينا ، وقصه هو على صحابته فى حادث الإسراء والمعراج .. ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

فحادث الإسراء والمعراج لم يكن إلا درجة من درجات التكريم ، ووسيلة من وسائل التثبيت ، ولونا من ألوان الاختبار تجلى به سبحانه وتعالى على عبده ونبيه ، وأسبغ عليه من بحار الفيض والإمداد ما تمكن به فى مدة وجيزة أو ساعات معدودة أن يكشف عن طريق المعاينة كثيرا من آيات ربه وعجائبه ، فى أرضه وسمائه ، أسرى به من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث شاء رب العزة والملكوت ، رب القدرة والقهر ، رب الأسباب والمسببات .

وهكذا محص الله بحادث الإسراء محمدا ﷺ ، فتبين له الكاذب من الصادق قبل أن تهيأ له ظروف الهجرة ووسائل الجهاد فى سبيل الله ، ودل به على عنايته برسوله ، وتقريبه لجنابه ، حتى كان فى الملأ الأعلى قاب قوسين أو أدنى .. تحت رعايته وحفظه بأعينه ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ، ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ .

حادث لا يعزب جلاله عن القلوب ، ولا يجف مداده من الأذهان .. فهو شاخص على الدوام فى قلوب المؤمنين ، وماثل فى أذهانهم ، به يعرفون أن الله أكمل تربية نبيهم ، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية ، ومحص أتباعه ، وميز خبيثهم من طيبهم ، لتحمل أعباء الرسالة العامة ، ومتاعب الهجرة الشاقة ، وتبعات الأخوة الدينية التى ستفترضها الأحداث ، ومشاق الجهاد فى سبيل الله ، وهكذا يقول النبى ﷺ عن نفسه « **أدبنى ربى فأحسن تأديبى** » . ويخاطبه ربه مذكرا له بأنعمه . ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾ .

ويعود بنا الشيخ شلتوت إلى مقدمات الإسراء والمعراج ، إلى ذلك العام الذى سماه النبى ﷺ « عام الحزن » .

يقول الشيخ : كان النبى ﷺ يدعو الناس إلى ربه ، وله من عباد الله درعان : درع فى البيت يزمله ويحتضنه ، ويبشره ويسرى عنه ، ودرع فى الناس يذود عنه : زوجه خديجة وعمه أبو طالب ، وقد ماتا فى عام واحد ، فاشتد حزنه ، وتلاحقت عليه أنواع الإيذاء ، والكيد الساخر ، ونالت منه قريش ما لم تكن تطمع فى حياتهما ، اعترضه السفهاء ، ونثروا التراب فوق رأسه ، وطرحوا سلا الجزور بين كتفيه ، وهو قائم فى الصلاة ، وخنقوه حتى كاد يموت ، وهكذا تحالف عليه القدر والناس ، وماكاد يخرج إلى الطائف يلتمس النصرة والمعونة حتى قوبل بأشد مما قوبل به من قومه ، فيرجع وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة بخلق الله ، فيتجه إلى من بيده الأمر ، وتذوب نفسه بالضراعة ، وينطلق لسانه بالدعاء : « **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أو إلى عدو**

ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة إلا بالله » .

فى هذا الجو الربانى الخالص ، يمد الله يده إلى عبده ، ويضمه إليه ، ويسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فيريه من آياته الكبرى مايبدد عن نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ، ويضىء له المستقبل بنصرة الحق وبلوغه مايريد الله ، فيزداد محمد يقينا على يقين ، وإيمانا على إيمان بأن الذى أرسله وكلفه دعوة خلقه إلى توحيده هو صاحب هذه القدرة العظيمة التى أبدعت تلك الآيات ، والتى أطلعته عليها فى وقت غير مألوف ، وعلى وجه غير معروف ، فهو بلاشك ناصره ومؤيده ، وهو بلاشك مخرجه من تلك الشدائد ، وهو بلاشك مطهره من هؤلاء الذين ضربوا عليه وعلى أصحابه حصار الذل والهوان ، ثم مافتئوا يصبون عليه الإيذاء والكيد حتى يقول أبو بكر رضى الله عنه : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ .

وهكذا ثبت الله نبيه ، وحباه ذلك الفضل تكريما وإنعاما ، فلنؤمن بحادث الإسراء ، ولنؤمن بشأن الله مع نبيه الذى صنعه بيده ، وحاكه بحكمته ، ولا نسأل أكان بالجسم أم بالروح ؟ أكان فى اليقظة أم فى المنام ؟ ولا كيف انتقل ؟ ولا كيف ارتفع ، ألا وإن العلم الذى يفخرون به اليوم ليسخر كل السخرية من هذه الأسئلة ، وإن الفيض لغزير ، والاستعداد تام ، والقدرة باهرة ، وآيات الله فى الكون ناطقة شاهدة ، لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

هذا هو حادث الإسراء والمعراج ، وإذا كان لنا أن ننتفع بذكرياتنا فلنذكر به فضل الله على نبيه الذى جاهد فى تثبيت هذا الدين ، وإسعاد الإنسانية به ، ولننتهج فى ذلك خطته حتى نحوز رضا الله وإسعاده ، ولنذكر به أيضا ، أن الله فرض فى تلك الليلة على نبيه وأمته – وقد طويت المسافات ، وزالت الحجب – خمس صلوات فى اليوم والليلة ، أمرهم بالمحافظة عليها ، وجعلها عليهم كتابا موقوتا ، بها يناجون ربهم ، وبها يقومون بواجب العبودية التى

خلعت حلتها على نبيهم فى تلك الليلة . وبها يتغلبون على الشهوات والأهواء . وبها تغرس فى قلوبهم مكارم الأخلاق ، ويطهرون نفوسهم من صفات الجبن والبخل والهلع والجزع ، وبها يستعينون على مشاق الحياة كما استعان محمد بها على مشاق الحياة ومصائب القوم ، ﴿ **يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ . ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا ۞ إذا مسه الشر جزوعا ۞ وإذا مسه الخير منوعا ۞ إلا المصلين ۞ الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ .

الصلاة .. عبادة ، لم يفرضها الله سبحانه وتعالى كما فرض غيرها من الواجبات والأركان ، وإنما فرضها فى كوكبة من الملأ الأعلى ، وفى جذوة من الإشراق والأنوار ، تنويها بشأنها ، ورمزا لمكانتها .

فلنذكر كل ذلك ، ولنذكر أن الرسول ﷺ الذى نال فخر الإسراء ، كان يحن دائما إلى مناجاة ربه ، والوقوف بين يديه ، حتى كان لا يجد له لذة إلا فى تلك المناجاة ، فهو القائل ﴿ **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** ﴾ ، فهى طهرة للقلب ، ومعراج للرب ، وإسراء إلى ساحة الفضل ، فمن شاء أن يسرى به ربه ، وأن تعرج به ملائكة الرحمة ، فليحافظ عليها ، وليدم مناجاة ربه بها ، وليحسن وقوفه بين يديه .. ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ .

نكت الإسراء والمعراج

تدور على الألسنة كلمة « نكتة » بمعنى الفكاهة ، أو الكلمة الساخرة المضحكة ، والحقيقة اللغوية لهذه الكلمة أنها النقطة الواضحة ، المغايرة لكل ماحولها ، أو هى الفائدة المستخرجة من كلام ، لذلك تجىء اللفظة « نكتة » وجمعها « نكت » كثيرا فى أقوال المؤلفين بمعنى القول المتميز الواضح الذى يمكن أن يكون ثمرة للحديث الدائر بين شخصين أو عدة أشخاص .. ولم يخل حديث الإسراء والمعراج من عدة نكت ذكرها الحافظ السيوط فى (الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء والمعراج) .. قال :

« نكت الإسراء والمعراج كثيرة والذى اخترناه منها هنا عشرون نكتة :

الأولى – تكلم الناس فى الحكمة فى الإسراء به أولا إلى بيت المقدس قبل المعراج ، فقيل : ليحصل العروج مستويا من غير تعريج ، لما روى عن كعب الأحبار أن باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ، قال : وهو أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا[1]. وقيل : ليجمع تلك الليلة بين القبلتين ، وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله ، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل . وقيل : لأنه محل الحشر ، وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية . فكان المعراج منه أليق . وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى .

وقيل لإرادة إظهار الحق على من عاند ، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر عليه الصلاة والسلام أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه عن جزئيات من بين المقدس

---

(١) هذا قول قد يتوقف العقل فيه ، فما بين السماء والأرض لا يعلمه إلا الله ، ثم ماذا ستفعل ثمانية عشر ميلا من المسافة قربا أو بعدا بجانب قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء

كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ماذكره .

الثانية – استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال : إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد ، كما قال أحمد : حدثنى حيوة ويزيد بن عبد ربه ، قالا : حدثنا بقية ، حدثنى بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن عمرو السلمى ، عن عتبة بن عمرو السلمى أنه حدثهم أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : كيف كان أول شأنك يارسول الله ؟ قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا ، ولم نأخذ معنا زادا . فقلت : ياأخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ومكثت عند البهم ، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران . فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، فأقبلا يتدرانى ، فأخذانى فبطحانى إلى القفا ، فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين . فقال أحدهما لصاحبه : ائتنى بماء ثلج ففسلا به جوفى .. ثم قال : ائتنى بماء برد ففسلا به قلبى ، ثم قال : ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه . فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة . وقال ابن دحية فى معراجه ، وابن المنير وغيرهما : الصحيح أن شق الصدر مرتان . قال شيخ الإسلام ابن حجر : بل ثلاث مرات . فقد ثبت أيضا عند البعثة ، كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل . ولكل حكمة . فالأول كان فى زمن الطفولية ، لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند البعث زيادة فى إكرامه ، ليتلقى مايوحى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة . قال – أعنى شيخ الإسلام – ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ لحصول المرة الثالثة كما هى فى شرعه ﷺ فى الطهارة .

قلت : وهذه الحكمة من أعظم الحكم وألطفها وأدقها ، وحقها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها . ثم قال شيخ الإسلام : وهذا الذى ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له ، ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك .

قلت : والأمر كذلك ، ويؤيده الحديث الصحيح من أنهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره الشريف ، وملوقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوى ، وإلزام قائله القول بقلب الحقائق للمتتبع ، فهو جهل صريح ، وخطأ قبيح ، نشأ من خذلان الله تعالى لهم ، وعكوفهم على العلوم الفلسفية ، وعدم إحاطتهم بالقدرة الربانية ، وبعدهم عن دقائق السنة ، عافانا الله من ذلك .

قال ابن المنير : وشق الصدر له ﷺ ، وصيره عليه من جنس ما ابتلى به الذبيح وصبر عليه ، بل هذا أشق وأجل ، لأن تلك معاريض وهذه حقيقة ، وأيضا فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله ﷺ ، وقد اختلف ، هل كان شق الصدر وغسله مخصوصا به أو وقع لغيره من الأنبياء .

الثالثة – الحكمة فى انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره ، وأنه سيلتئم بلا معالجة .

الرابعة – الحكمة فى اختصاص الطست أنه أشهر آلات الغسل عرفا ، والذهب لأنه أعلى أنواع الأوانى وأصفاها ، ولأن فيه خواص ليست فى غيره ، منها أنه من أوانى الجنة ، وأنه لا تأكله النار ولا التراب ، ولا يصدأ ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى . وقال السهيلى وابن دحية : إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه ، وإن نظر إلى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه ولثقله ، والوحى ثقيل . وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال الدنيا ، وذلك كان من أحوال الغيب فيلتحق بأمور الآخرة .

الخامسة - قال ابن المنير : إنما كان الإسراء ليلا لأنه وقت الخلوة والاختصاص عرفا ، ولأنه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى ﴿ قم الليل ﴾ ، ولكون أبلغ للمؤمن فى الإيمان بالغيب ، وفتنة للكافر ، ولأن الليل محل الاجتماع بالأحباب ، قال ابن دحية : ولإبطال قول الفلاسفة أن الظلمة من شأنها الإهانة والشر ، وكيف يقولون ذلك مع أن الله تعالى أكرم أقواما فى الليل بأنواع الكرامات ، كقوله فى قصة إبراهيم ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ وفى لوط ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ وفى موسى

﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** ﴾ ، وناجاه ليلا ، وأمره بإخراج قومه ليلا ، فى قوله ﴿ **فأسر بعبادى ليلا** ﴾ واستجابة دعاء يعقوب فيه ، وهو المراد بقوله ﴿ **سوف أستغفر لكم ربى** ﴾ . قال المفسرون : أخره إلى وقت السحر من ليلة الجمعة ، وأظهر منه انشقاق القمر آية له ﷺ ، وإيمان الجن به وتبليغهم الوحى كان ليلا ، مع تفضيل الليل بسبقه النهار ، أى تقدمه فى الخلق ، والابتداء به فى جميع آى القرآن ، وسبق الليلة يومها إلا عرفة ، وفيه ساعة الإجابة وهى فى كل الليالى بخلاف الأيام فهى منها فى الجمعة فقط . وفى الليالى ليلة خير من ألف شهر ، وهى ليلة القدر ، وليس فى الأيام يوم كألف شهر ، فضلا عن أن يكون خيرا منها . وأطيب السمر ليلا لخلو الفكر فيه ، وألذ الوصال ليلا ، بل هو وقته لقوله تعالى ﴿ **وهو الذى جعل لكم الليل لباسا** ﴾ ، وإشراق القمر فيه بخلاف النهار .

السادسة – قال ابن المنير : كانت كرامته ﷺ فى المناجاة على سبيل المفاجأة ، كما أشار إليه بقوله « بينا أنا » وفى حق موسى ﷺ عن ميعاد واستعداد ، فحمل عنه ﷺ ألم الانتظار .

السابعة – قال أيضا : يؤخذ من قوله « أسرى بعبده » مالا يؤخذ ، أن لو قيل : بعث إلى عبده ، لأن الباء تفيد المصاحبة ، أى صحبه فى مسراه بالإلطاف والعناية والإسعاف .

الثامنة – قال ابن دحية : المعراج سلم من زمردة خضراء ، وقال شيخ الإسلام ابن حجر : روى كعب أنه مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب ، وروى ابن سعد أنه منضد باللؤلؤ .

التاسعة – سبق فى الأحاديث اختلاف فى أنه ﷺ صلى فى بيت المقدس بالأنبياء قبل العروج أو بعده ، وصحح القاضى عياض وغيره أنه قبله ، ويحتمل أنه كان بالأرواح خاصة ، أو بها مع أجسادها ، وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم ، وأنها تشكلت بصورة أجسادهم إلا عيسى عليه السلام لأنه رفع بجسده ، وكذلك إدريس أيضا ، أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تشريفا له وتكريما .

العاشرة - وقع اختلاف أيضا فى تقديم الأولى له هل هو قبل العروج أو بعده . قال ابن كثير وغيره : ولعله قدمت له مرتين ، لأنها ضيافة له ﷺ ، والضيافة من الكريم تكون أكثر من آنين خصوصا لمن يحب .

الحادية عشرة – الصحيح الذى تقرر من الأحاديث الصحيحة أن العروج كان فى المعراج لا على البراق ، وتمسك بعضهم ببعض الروايات السابقة ، فقال أنه عرج عليه فبلغ السموات السبع فى سبع خطوات ؛ لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه .

الثانية عشرة – قال ابن المنير : ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف ، يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا ﷺ حتى جاوزه ، فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام .

الثالثة عشرة – استفتاح جبريل أبواب السماء ، لأنها كانت مغلقة ، وإنما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه ، وإن كان أبلغ فى الإكرام ، لأنه لو رآها مفتحة لظن أنها لاتزال كذلك ، ففُعِل ذلك ليعلم أن ذلك لأجله تشريفا ، ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات أيضا ، لأنه قيل لجبريل لما قال محمد : أبعث إليه ؟ ولم يقل : ومن محمد ؟ مثلا ..

الرابعة عشرة – قول الخازن : أبعث إليه ؟ ليس استفهاما عن أصل البعث ، لأنه مشهور فى الملكوت الأعلى ، بل البعث للمعراج ، قال شيخ الإسلام ابن حجر : وفى قوله لجبريل : ومن معك ؟ دليل على أنه أشعر بأن معه رفيقا .. وإلا لقال : أمعك أحد ، وذلك إما بمشاهدة ، لكون السماء شفافة ، أو بأمر معنوى كزيادة أنوار أو نحوها ، تشعر بتجدد أمر يحسن معه السؤال بهذه الصيغة .

الخامسة عشرة – الأضبط فى الروايات فى محل الأنبياء أن آدم فى السماء الأولى ، ويحيى وعيسى فى الثانية ، ويوسف فى الثالثة ، وإدريس فى الرابعة ، وهارون فى الخامسة ، وموسى فى السادسة ، وإبراهيم فى السابعة . واختلف فى الحكمة فى اختصاص كل منهم بالسماء التى التقاه فيها . فقيل : لا حكمة فى ذلك ، وإنما أمروا بملاقاته فمنهم من سبق ومنهم من لحق . وقيل : بل

للإشارة إلى تفاضل درجاتهم . وقيل : الحكمة فى الاقتصار على المذكورين الإشارة إلى ماسيقع له ﷺ مع قومه من نظير ماوقع لكل منهم ، فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض ، بما سيقع له من الهجرة إلى المدينة ، والجامع بينهما ماحصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق مألفه من الوطن ، ثم كان عاقبة كل منهما أن رجع إلى موطنه الذى أخرج منه . وبعيسى ويحيى على ماوقع له أول الهجرة من عداوة اليهود ، وتمالئهم على البغى عليه ، وإرادتهم وصول السوء إليه ، وبيوسف على ماوقع له من إخوته من قريش من نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاكه . وكانت العاقبة له . وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح : أقول كما قال أخى يوسف ﴿ **لا تثريب عليكم** ﴾ . وبإدريس على رفع منزلته عند الله . وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه ، وبموسى على ماوقع له من معالجة قومه .. وقد أشار إلى ذلك بقوله ﷺ : لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر ، وبإبراهيم فى استناده إلى البيت المعمور ، بما ختم له فى آخر عمره من إقامة منسك الحج ، وتعظيم البيت ، ذكر ذلك السهيلى واستحسنه شيخ الإسلام ابن حجر ، وقد ذكر فى مناسبة لقاء إبراهيم فى السابعة معنى لطيف آخر ، وهو ما اتفق له ﷺ من دخول مكة فى السنة السابعة ، وطوافه بالبيت ، ولم يتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبل هذه . بل قصدها فى السنة السادسة فصد عن ذلك ، وقال ابن أبى جمرة : الحكمة فى كون آدم فى الأولى أنه أول الأنبياء ، وأول الآباء ، وهو أصل فكان أولا فى الآباء ، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة ، وعيسى فى الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدا من محمد ﷺ ، ويليه يوسف لأن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة على صورته ، وإدريس قيل لأنه أول من قاتل للدين ، فلعل المناسبة فيه الإذن للنبى ﷺ بالمقاتلة ، ورفعه بالمعراج ، لقوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾ والرابعة من السبع وسط معتدل ، وهارون لقربه من أخيه موسى ، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله . وإبراهيم لأنه الأب الأخير ، فناسب أن يتجدد للنبى ﷺ بلقياه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر ، وأيضا فمنزلة الخليل تقتضى أن تكون أرفع المنازل ، ومنزلة الحبيب أرفع ، فلذلك ارتفع عنه إلى قاب قوسين أو أدنى .

السادسة عشرة – قيل : اقتصر الأنبياء على وصفه بالصالح وتواردوا عليها ، لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير ، ولذا كررها كل منهم عند كل صفة .

السابعة عشرة– قال العلماء: لم يكن بكاء موسى وقوله ماقال حسدا – معاذ الله – فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين ، فكيف لمن اصطفاه الله ، بل أسفا على مافاته من الأجر ، الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ماوقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لنقص أجورهم المستلزمة لنقص أجره ، لأن لكل نبى مثل أجر من تبعه . ولهذا كان من اتبعه دون عدد من اتبع نبينا ﷺ ، مع طول مدتهم . وأما قوله : غلام فهو على سبيل التنويه بعظمة الله وقدرته وعظيم كرمه ، إذ أعطى من كان فى ذلك السن مالم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه لا على سبيل التنقيص . قال الخطابى : والعرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاما مادامت فيه بقية من القوة ، قال شيخ الإسلام ابن حجر : ويظهر لى أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه الصلاة والسلام من استمرار القوة فى الكهولة إلى أن دخل فى أول سن الشيخوخة ، ولم يدخل فى بدنه هرم ، ولا اعترى قوته نقص ، حتى إن الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب ، وعلى أبى بكر اسم الشيخ ، مع كونه فى العمر أسن منه .

الثامنة عشرة – قال القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلوات لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات ، بما لم يكلف به غيرها من الأمم ، فثقلت عليهم ، فأشفق موسى على أمة محمد ﷺ من مثل ذلك ، ويشير إليه قوله : إنى قد جربت الناس قبلك . وقال شيخ الإسلام ابن حجر : يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه فى الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة إلى أمة محمد تمنى استدراك ذلك ببذل النصيحة لهم ، والشفقة عليهم ، ليزيل ماعساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء .

التاسعة عشرة : اختلف هل رأى النبى ﷺ ربه ليلة المعراج على قولين مشهورين ، فأثبت ذلك ابن عباس وطائفة ، وأنكرته عائشة ، والصحيح ثبوتها ، قال أحمد : حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن

قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **رأيت ربى تبارك وتعالى** » وقال الطبرانى : حدثنا الهيثم بن خلف ، حدثنا يزيد بن عمر بن البراء الغنوى ، حدثنا حفص بن عمر العدنى ، حدثنا موسى بن سعد ، عن ميمون العباد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نظر محمد ﷺ إلى ربه ؟ قال : نعم .. جعل الكلام لموسى ، والخلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد ﷺ ، أخرجهما الحاكم فى مستدركه .

العشرون – ذكر ابن المنير المعراج ، فقسمه إلى عشرة معاريج بعدد سنى الهجرة ، فذكر السبعة إلى السبع سموات ، وذكر مناسبته للسبع الأول من الهجرة ، كما تقدم ، قال : والثامن المعراج إلى سدرة المنتهى ، التى ينتهى إليها مايعرج من الأرض ومايتنزل من السماء . قال : ومناسبته للثامنة من الهجرة أنها اشتملت على فتح مكة وهى أم القرى وإليها المنتهى ، وقد غشيها – أى السدرة – الجراد ، وهو جند من جنود الله كما فى الحديث ، كما غشى مكة فى الفتح جند الله وحزبه . والتاسع المعراج إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام ، أى صريرها فى الصحف . وهذه الكتابة انتساخ من الأصل القديم المقرر الذى جف القلم منه بما هو كائن . ومناسبته للسنة التاسعة أن فيها غزوة تبوك ، فخرج النبى ﷺ فى ثلاثين ألفا ، وأعلم الناس بها ، ولم يور ليتأهبوا لها ، ومع هذا الإشهاد والاستعداد لم يلق فيها حربا ، ولا فتح بلدا فانتسخ العزم بالقدر وجفاف القلم . والعاشر : المعراج إلى الرفرف ، وحينئذ لقى الله وسمع الخطاب ، وحضر حضرة الأنس ، ومناسبته للعام العاشر أمر بين واضح لأن فيه لقاء البيت ، وإكمال الدين ، وإتمام النعمة على المسلمين ، وعقبه لقاء رب البيت ، والانتقال إلى دار البقاء ، والعروج بالروح الكريمة إلى المقعد الصدق والوعد الحق .

وأخيرا ...

فلقد شغل حادث الإسراء والمعراج المسلمين ، على مدى قرون طويلة ، ولايزال يشغلهم ، ويناقشون ويجادلون ، وماذكرناه فى هذه الصفحات إنما هو قليل من كثير مما قيل ويقال فى ذكر الإسراء والمعراج ، ونعود إلى الآية الكريمة ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**

الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ . فالآية تنبيه إلى أنه ينبغى أن يكون حديثنا عن الإسراء والمعراج حمدا لله وتنزيها له ، وثناء عليه ، إذ أنزل نبينا ﷺ هذا المنزل الكريم ، ورفعه هذا المقام العظيم ، وأفاض عليه ما أفاض من ألطافه ومننه ، إذ تقول لنا الآية الكريمة ما معناه .. سبحوا الله ، واحمدوا له أن أسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأن أراه من آياته ، وأسبغ عليه من آلائه ماهو أهل له عند ربه ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

فالله الثناء والتنزيه ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(المراجع)

١ - سيرة ابن هشام ..
٢ - خاتم النبيين .. للشيخ محمد أبو زهرة
٣ - صحيح البخارى
٤ - فتح المنعم ، شرح صحيح مسلم ، للشيخ موسى شاهين لاشين .
٥ - تفسير ابن كثير .
٦ - مقالات وفتاوى للشيخ يوسف الدجوى .
٧ - من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت .
٨ - الإسراء والمعراج للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة .
٩ - العقيدة الإسلامية وأسسها ، الأستاذ عبد الرحمن حبنكة .

الفهرس

المقدمة ٣
هل الإسراء والمعراج معجزة ؟ ٩
ما قبل الإسراء ١٢
ذكر الإسراء والمعراج كما ورد فى سيرة ابن هشام ٢٠
ذكر المعراج ٢٥
حديث الإسراء والمعراج كما ورد فى صحيح البخارى ٢٩
حديث الإسراء والمعراج كما ورد فى صحيح مسلم ، وشرحه ٣٣
مع الحافظ ابن كثير ٤٩
فرضية الصلاة ٥٣
شبهة والإجابة عنها ٥٦
الإسراء .. متى ؟ ولماذا ؟ ٥٩
حادث تربوى توجيهى ٦٢
نكت الإسراء والمعراج ٧١
وأخيراً ٧٨
المراجع ٧٩